مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: خصائص المنهج القرآني في الدعوة إلى العقيدة دراسة تحليلية
اسم الكاتب: د. عبدالعزيز حاجي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/1822
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 04:35 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

خصائصُ المنهجِ القرآنيِّ في الدَّعوة إلى العَقيدةِ دراسة تحليلية

إعداد:

الدكتور عبدالعزيز حاجي*

المخلص

يتناولُ البحثُ الحديثَ عن أهمِّ الخصائصِ والمزايا التي يتميَّزُ بها المنهجُ القرآنيُّ في الدَّعوة إلى العقيدةِ بكافّةِ أقسامِها (الإلهيات ، النبوّات ، الغيبيّات) ، ويوضِّحُ أنَّ القرآنَ الكريمَ قد سلكَ كلَّ ما مِنْ شأنه أنْ يرسّخَ العقيدةَ الصَّحيحةَ في العقول والقلوبِ من دعوةٍ إلى التّفكّر والتّدبرِ والتَّحرّرِ من الموانع والعوائق التي تمنعُ العقلَ ، وتعوقُهُ عن ممارسةِ دورِهِ ونشاطِهِ، وإزالتها في سبيلِ إعدادِ الإنسان وتهيئتِهِ للتفكير العلميّ السليم للوصولِ إلى العقيدة الصَّحيحةِ من خلال الأدلة المتنوّعةِ التي ساقَها، ويستعرضُ جانبًا من أقوالِ كبارِ العلماءِ في تميّزِ هذه الأدلّة وتفوّقِها على ما عداها من الأدلّةِ والبراهين التي اعتمدَها المتكلّمونَ والفلاسفةُ خارجَ النّطاقِ القرآني ، ويختمُ بأهمّ النتائج التي توصّلَ إليها، وزبدتُها أنْ يكون القرآنُ الكريمُ هو المنطلق في ترسيخِ العقيدة وتمكينِها في العقول والأفئدةِ.

* الأستاذ المساعد في قسم علوم القرآن والحديث في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

Characteristics of the Qur'anic method in calling to the doctrine Analytical study

Abdul Aziz Hajji*

Abstract

The research deals with the most important characteristics and advantages that characterize the Qur'anic approach in calling for the doctrine in all its sections(divinity, prophecies, unseen),and explains that the Qur'an has taken all means that would establish the correct doctrine in the minds and hearts by calling to think meditate and ridding of the obstacles and impediments that prevent the mind, and hinder it from exercising its role and activity, and finally remove it in order to prepare the human being for scientific thinking to reach the correct faith through the various Qur'anic evidences and this research presents certain sayings of the leading scholars which mention to the distinction of there evidence and their superiority over other evidences adopted by the ologiens and philosophers outside the Qur'anic scope, and concludes with the most important conclusions and its gist that the holy Quran is the starting point in establishing the faith in minds and rooting it in hearts.

* Assistant Professor in the Department of Quran and Hadith Sciences - Faculty of Sharia - University of Damascus.

المقدّمة:

بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله الذي نزَّل الفُرقانَ على عبده ليكونَ للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، وتحدّى به الإنسَ والجنَّ على أنْ يأتوا بأقصرِ سورةٍ منه فلمْ يَجدْ بهِ [1] قديرًا، وضمّنَهُ كلَّ ما فيه صلاحُ البشريّةِ، وتقويمُ اعوجاجها، وتركُ ما لحِقَ بها من انحرافاتٍ، وهدايتُها إلى الأفضلِ والأحسنِ على الأصعدة كافّةً وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فقال ـ تعالى ـ : { إنَّ هذا القرآنَ يَهدي للّتي هي أقومُ ويُبشِّرُ المؤمنينَ الذينَ يَعملونَ الصَّالحاتِ أنَّ لهم أجرًا كبيرًا} [الإسراء:9].

وقال أيضًا :{.. قدْ جاءَكم مِن اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبينٌ . يَهدي بهِ اللهُ مَن اتَّبعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلام ويُخْرِجُهُمْ مِن الظُّلماتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْديهِمْ إلى صِراطٍ مُسْتقيمٍ} [المائدة:16.15].

وهو محكمٌ ومفصّلٌ لا يأتيه الباطلُ ـ كما وصفَه المولى سبحانه ـ فقال:{ كتابٌ أُحكمتْ آياتُهُ ثمَّ فُصّلتْ من لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ}[هود:1] و أنَّه { لا يَأْتيهِ الباطلُ مِنْ بين يَديْه ولا مِنْ خَلفهِ تنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ}[فصلت:42] والصَّلاةُ والسَّلامُ الأَتَّمانِ الأَكْملانِ على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الذي كلّفَه ربُّه بتوضيحِ معاني القرآنِ ونشرِ مبادئِه ، وما جاءَ بهِ من توحيدٍ وتشريعٍ وأخلاقٍ وغير ذلك ـ بين النَّاس لتَتحقَّقَ الحكمةُ والغايةُ مِنْ إنزالِه في إصْلاحِ المجتمعاتِ البَشريّةِ والتدرّجِ بها إلى الرّقي في المجالاتِ كافّة ، فقال . تعالى . :{ وَمَا أَنْزلْنا عليكَ الكتابَ إلّا لِتُبيّنَ لَهُمْ الذي اخْتَلفُوا فيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل:64] والمقصودُ بالكتابِ ـ على ما ذكرَهُ المفسّرون[2]: القرآن، والضَّميرُ في " لَهم": للناس، والذي اختلفوا فيه: من أمور التوحيد والقدر وأحوال البعث والمعاد

---

[1] تعبير استعمله البيضاوي في مقدمة تفسيره ، و"القدير" بمعنى " القادر" والباء في "به" بمعنى "على" أي: لم يجد قادرًا عليه والمراد: نفي أصل القدرة للرد على القائلين بـ "الصرفة" وغيرهم في إعجاز القرآن . ينظر: حاشية الكازروني على البيضاوي:4/1.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 359، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: 291/2.

وأحكام الأفعال.. فقام . عليه الصَّلاة والسَّلام . بهذه المهمّة العظيمة خيرَ قيامٍ من تفسير آياته وتوضيحِ عقيدته وتبيينِ شريعته، وحثَّ المسلمين على اتّخاذِه حكمًا فصلًا بينهم، والتَّأسي به في أمورهم كلّها في حديثٍ مشهور أخرجهُ التّرمذيُّ وغيرُه عن عليّ بنِ أبي طالب . رضي الله عنه . أنّه قالَ :"..... سمعتُ رسولَ الله . صلَّى اللهُ عليه وسلّم . يقول: ألا إنَّها ستكونُ فتنةٌ، فقلتُ: ما المَخرجُ منها يا رسولَ الله ؟ قال: كتابُ اللهِ، فيه نبأُ ما كان قبلَكم، وخبرُ ما بعدَكم، وحُكمُ ما بينَكم، وهو الفصلُ ليسَ بالهزلِ، مَنْ تركَهُ من جبّارٍ قصَمهُ اللهُ، ومَن ابتغى الهُدى في غيرِه أضلَّه اللهُ ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ، وهو الذِّكرُ الحكيمُ، وهو الصّراطُ المستقيمُ. هو الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلتبسُ بهِ الألسنةُ، ولا يَشبعُ منه العلماءُ، ولا يَخلقُ على كثرةِ الرَّدِّ، ولا تَنقضي عجائبُهُ. هو الذي لم تَنتَهِ الجنُّ إذْ سمعتْه حتّى قالوا: { إنَّا سَمعْنا قرآنًا عجبًا يَهدي إلى الرُّشدِ فآمَنَّا به..} [الجن:1-2] مَنْ قالَ به صَدقَ ن ومَنْ عملَ به أُجر، ومَنْ حكمَ به عدلَ، ومَنْ دعا إليه هَدى إلى صرطٍ مستقيمٍ "[1] ومن هنا؛ فإنَّه لم يُعرف أنَّ كتابًا إلهيًّا أو كتابًا بشريًّا حَظيَ بمثل ما حَظيَ به القرآنُ الكريمُ من وجوه الرَّعايةِ والعنايةِ في تلقّيه وحفظِهِ وضبطِهِ وتفسيرِهِ وتوضيحِ تعليماتهِ وبيانِ مقاصدِه التي أُنزلَ من أجلِها[2].. وأهمُّ هذه المقاصدِ قاطبةً الدَّعوةُ إلى العقيدة الصَّحيحةِ لتكونَ الأساسَ الصَّالحَ الذي يُبنى عليه المجتمعُ؛ إذْ إنَّ العقيدةَ الصَّحيحةَ هي الأساسُ في بناء الأممِ الحيَّةِ ونشوءِ الحضاراتِ النَّافعة للبشريّةِ جمعاءَ، ولا وجودَ للشَّريعةِ في الإسلامِ إلّا بوجودِها، ولا ازدهارَ لها إلّا في ظلِّها..

---

[1] ينظر: سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن 172/4. ويقول عنه :هذا حديث لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وإسناده مجهول ن وفي الحارث . وهو راوي الحديث عن علي . مقال. و في كتاب " فضائل القرآن: 8 . 9" لابن كثير بعد أن ساق الحديث وما قاله الترمذي فيه، أضاف:" قلت: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث؛ فبرىء حمزة في عهدته، على أنه.. وإن كان ضعيف الحديث. فإنّه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه، بل قد كذّبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده: أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا! والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أنْ يكون من كلام أمير المؤمنين . رضي الله عنه . وقد وهم بعضُهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنّه قد روي له شاهد عن عبدالله بن مسعود . رضي الله عنه . عن النّبي صلى الله عليه وسلم"

[2] ينظر: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ، محمد الصادق عرجون:198، تفسير آيات العقيدة ، حاجي :9/1.

وقدْ رأتْ هذه الدِّراسةُ الموجزةُ ـ أنْ تلقيَ بعضَ الضَّوءِ على شيءٍ من خصائصِ منهجِ القرآن الكريم في عَرضِهِ للقضايا العقديّةِ ودعوتِه إلى العقيدة الصّحيحةِ من خلال آياتِه الكثيرةِ الواردةِ في هذا الشَّأن، وأنْ تقفَ على طبيعةِ الأدلَّةِ التي ساقَها القرآنُ من أجلِ تثبيتِ الإيمان في القلوبِ وتمكينِهِ فيها، وتميّزِها وتفوّقِها على الأدلّةِ التي استدلَّ بها الفلاسفةُ والمتكلّمونَ في مؤلَّفاتهم. ومن هنا فإنَّ مشكلة البحث تتمثل في السؤال الرئيسي في هذا البحث، وهو: ماهي خصائص المنهج القرآني في عرضه للقضايا العقدية ودعوته إلى العقيدة الصحيحة، وبِمَ يتميزُ عن غيره من المناهج ؟، والهدف منه هو الوقوف على هذه الخصائص والميزات بنوع من الاختصار والتركيز.

وتنبعُ أهميّتُها من أَهميّةِ البحثِ في العَقيدةِ التي جاءَ بها القرآنُ الكريمُ لتكونَ الأساسَ المكينَ في توحيدِ الأمّةِ، وتحلّقِها حولَ كتابِ ربِّها.. وممّا دفعَني إلى الكتابةِ في هذا المجالِ أمرانِ: **الأوّلُ:** رَغبتي القويّةُ في التَعمّق في مقاصدِ القرآنِ وأهمُّها ـ كما سبق . إثبات العقائد.. **والثّاني:** المشاركةُ في بيانِ أهميّة العقيدةِ وضرورتِها للبشريّةِ من خلالِ مثلِ هذه الأبحاثِ في مواجهةِ التيّاراتِ الإلحاديةِ المعاصرة وغيرها..

وقد جاءت الدِّراسةُ في مقدّمةٍ وثلاثةِ مطالبَ وخاتمةٍ، تناولتْ المقدّمةُ أهميّةَ البحثِ والباعثَ على اختيارِهِ والخطَّةَ المرسومةَ والمنهجَ المتَّبَعَ، وألمَحت إلى الدِّراساتِ السَّابقةِ في الموضوع بصورةٍ عامّةٍ، وتحدَّث المطلبُ الأوّلُ: عن منهجِ القرآنِ في إعدادِ الإنسانِ وتهيئتِهِ للتَّفكيرِ العلميّ السَّليمِ من خلالِ تحريرِ عقلِهِ ودعوتِهِ له لاستخدامِ ملكاتِهِ الفكريةِ دعوةً صريحةً لا تقبلُ التَّأويلَ، وتناولَ المطلبُ الثَّاني: الكلامَ عن شموليةِ المعالجةِ القرآنيةِ للقضايا العقديّةِ وتعددِّ الأدلّةِ والأساليبِ وتنوّعِها، ورصَدَ المطلبُ الثالثُ: تميّزَ الأدلّةِ القرآنية وتفوّقَها على ما عداها في ضَوءِ أقوالِ بعضِ العلماءِ من أئمّةِ المتكلّمينَ الكبارِ عنْها، وجاءت الخاتمةُ لتلخّصَ أهمَّ النَّتائجِ التي توصلّت إليها الدِّراسة، وأمَّا المناهجُ المتّبعةُ في إعدادها ـ فهي الاستقراءُ، والوصفُ، والتَّحليلُ وذلك باستقراءِ الآياتِ القرآنيةِ التي تحدَّثت عن القضايا العقديّةِ ووصفِ منهجِها وطريقتِها في العرضِ مع

تحليلِ العناصرِ والأفكارِ التي اشتملت عليها.. وأمّا الدّراساتُ السَّابقةُ في الموضوع فهي عديدةٌ ومتنوّعةٌ [1]، وقدْ أفادت منها هذه الدِّراسةُ أيّما إفادة، ولكنّها ليست كما أرى. تكرارًا لعملٍ سابق، وإنَّما لها ما يميّزُها عن غيرها في طريقة اختيارِ المعلومات، وطريقة عرضِها واستثمارها لصالح البحث .. وبهذا أرجو أنْ أكونَ قد وفيّتُ الموضوعَ بعضَ حقّهِ والله من وراء القصد.

المَطلبُ الأَوَّل:

إعدادُ الإنسانِ وتهيئتُه للتَّفكيرِ العلميّ السَّليم

لقدْ أوْلَى القرآنُ الكريمُ اهتمامًا كبيرًا بجوانب العقيدة، وجعلها أهمَّ مقصدٍ من مقاصدِهِ كما يقول بديعُ الزَّمان النّورسي (1379هـ) ما نَصُّهُ:" ..فاعلمْ أنَّ المقصدَ الأصليَّ في القرآنِ الكريمِ إرشادُ الجمهورِ إلى أربعةِ أساساتٍ، هي: إثباتُ الصَّانعِ الواحدِ، والنُّبوّةُ، والحشرُ، والعدالةُ.."[2] وقد سلكَ الكتابُ الكريمُ ـ وَفقَ منهجٍ علميّ متكامل .كلَّ ما مِنْ شأنهِ أنْ يمكّنَ المبادئ العقدية الصَّحيحة في العقولِ والقلوبِ؛ فدعا إلى التفكّرِ والتدبّرِ والتَّحررِ من كلِّ الموانعِ والعوائقِ الّتي تمنعُ العقلَ وتعوقُه عن ممارسةِ دورِهِ ونشاطِهِ، وإزالتِها في سبيلِ إعدادِ الإنسانِ وتهيئتهِ للتفكيرِ العلميّ السَّليمِ للوصولِ إلى العقيدةِ الصحيحةِ من خلال الأدلة المتنوعة التي يسوقُها القرآنُ الكريمُ لذلك، ومن وسائل إزالة العوائق:

[1] لم أقع على دراسة سابقة بعنوان مطابق تمامًا للعنوان الذي اخترته، وإنما بعنوانات أخرى تناولت من . جملة ماو تناولته القضايا التي تناولته في البحث، وهي موجودة في فهرس المصادر والمراجع مثل: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، والنبأ العظيم، والقرآن والنظر العقلي.

[2] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: 177.

أوّلًا: ذمُّ التّقليدِ[1] الأعمى والتعصّبِ للأعرافِ والعاداتِ الباطلةِ الموروثةِ:

فالقرآنُ الكريمُ لا يقبلُ من المسلمِ أنْ يُلغيَ عقلَهُ ليَجريَ على العاداتِ والأعرافِ الباطلة الّتي وَرِثها عن آبائه وأجداده ، ولا يقبلُ منه أنْ يُلغيَ عقلهُ خُنوعًا لمن يسخّرهُ باسمِ الدّينِ من أصحاب السلطة الدينية الزائفة المبنية على العقائد الباطلة، ورهبةً من بطشِ الأقوياء وطغيان الأشداء من أَصحابِ السّلطةِ الدّنيويةِ في غيرِ ما يُرضي العقلَ والدّينَ[2]. ومن شواهدِ ذلك في القرآن الكريم:

ـ بشأن تقليد الآباء: قولُه. تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزلَ الله قَالُوا بَلْ نتّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهم لا يَعقِلونَ شَيئًا ولا يَهْتَدونَ} [البقرة:170]. وقوله تعالى :{ وإِذَا قيلَ لَهم اتَّبِعوا ما أَنزلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعوهُم إلى عَذابِ السَّعيرِ} [لقمان:21]. وقوله تعالى: {وَإذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إلى ما أَنزلَ اللهُ وإلى الرَّسولِ قَالُوا حسبُنا ما وَجدْنا عَليهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤهُم لا يعلمون شيئًا ولا يَهْتدونَ} [المائدة:104].

ـ وبشأن أصحاب السّلطةِ الدّينيةِ من الأَحبارِ والرّهبانِ: قوله تعالى:{اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله...} [التوبة:31]. وقوله تعالى: {يا أَيُّها الذينَ آمَنوا إنَّ كثيرًا من الأحبار والرُّهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله..} [التوبة: 34].

---

[1] التقليد: قبولُ قولِ غيرِه بلا حُجَّةٍ، أو أنْ يأخذَ المكلَّفُ بقولِ غيرِه من غيرِ أنْ يقف على دليلِهِ . والقولُ فيهِ ـ باختصار ـ عند العلماء، قيل :المقلِّد مؤمنٌ عاصٍ ـ إنْ كانَ فيه أهليةُ النَّظرِ وإلَّا فلا عصيان، وهو المعتمدُ ، وقيل: مؤمنٌ من غيرِ عصيان، وقيل: كافر. والقولُ الثَّاني والثَّالثُ ضعيفان، والأوَّلُ هو المشهور، وصحَّحهُ غير واحدٍ من المحققين على أنَّ التاج السّبكي (771هـ) حقَّق في إيمانِ المُقلِّد .بكسر اللام ـ البيان عن حاله؛ وهو إنْ كانَ يجزمُ بصحّة قولِ المقلَّد. بفتح اللام جزمًا قويًّا بحيثُ لو رجَعَ المُقلِّدُ ـ بفتح اللام ـ لم يرجعْ هو ـ كفاهُ، وإلَّا لا! ومحَلُّ الخلافِ في المقلِّد الجازمِ، وأمّا الشَّاكُّ والظّانُّ فمتفقٌ على عدمِ صحَّةِ إيمانِهما ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:2/ 211 فما بعد، كتاب البداية من الكفاية في الهداية، الصابوني: 154، شرح جوهرة التوحيد، الباجوري:37، 55فما بعد، منهج السلف في العقيدة حمدي عبدالعال:61 فما بعد، علم التوحيد عند خلص المتكلمين، عز العرب :84/1 فما بعد، تفسير آيات العقيدة، حاجي:48/1 هـ(1).

[2] ينظر: التفكير فريضة إسلامية، العقاد:24 وما بعد، القرآن والنظر العقلي ، فاطمة إسماعيل : 104 وما بعد ، التفكير الفلسفي في الإسلام، عبدالحليم محمود: 40 . 14 .

ـ وبشأنِ أصْحابِ السُّلطةِ الدّنْيويةِ الذين يُمارسونَ القهر والاستبدادَ بجميعِ أشْكالهِ ـ الأمرُ الذي يؤدّي إلى تعطيلِ العقلِ عن التَّفكير السَّليمِ نتيجة الإرهابِ المتسلّط، والاهتمامِ بِما يُرضي المُسْتبدّ قولُه ـ تعالى ـ: {..يَوْمَ تُقَلَّبُ وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرَّسولا. وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا...} [الأحزاب:66. 67].

فالتَّقليدُ الأعمى يُلغي عملَ العقلِ ، ويَقْطعُ طريقَ العلمِ على أصْحابِهِ، ويَحْرِمُهم من الفهم، وأنَّه شأنُ كما في صريح بعض الآيات . الكافرين ممَّا يدلُّ على أنَّ المرءَ لا يكونُ مؤمنًا إلّا إذا عقَل دينَه؛ فاقتنعَ بهِ عن بصيرةٍ وفهمٍ لا لأجلِ الآباءِ والأجدادِ وغيرِهم. يقول الفخر الرازي (606هـ) : "...أنَّه تعالى ذمَّ التقليدَ فقال حكاية عن الكفار:{..إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أمَّةٍ وإنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقتدُون} [الزخرف:23] وقال:{...بَلْ نتبّعُ مَا وَجَدْنا عَليهِ آباءَنا..} [لقمان:21].... وكلُّ ذلك يدلُّ على وجوبِ النَّظرِ والاستدلالِ والتفكّرِ وذمّ التَّقليدِ؛ فمن دعا إلى النَّظرِ والاستدلالِ كانَ على وَفقِ القرآن ودينِ الأنبياءِ ومن دعا إلى التقليدِ كان على خلاف القرآن وعلى دين الكفَّار..."[1]، ولذلك نُقلَ عن محقِّقي علماءِ العقيدة والتَّفسيرِ إجماعُ الأمَّة " على إبطالِ التَّقليدِ في العَقائدِ"[2]. يقول عبدالله بن عمر البيضاوي (685هـ) في تفسيره لقوله تعالى:{...بَلْ نتَّبِعُ ما وَجْدنا عليهِ آباءَنا..} [لقمان:21] من جملةِ ما يقول ـ :"وهو منعٌ صَريحٌ من التَّقليدِ في الأُصول"[3]. ودعوةُ القرآنِ الكريمِ إلى ذمّ التقليد وتركهِ هي تَهيئةُ الذِّهن بقوَّةٍ لممارسةِ قاعدةٍ من أهمّ قواعدِ مناهج البحثِ العلميّ المُتمثّلةِ باستبعادِ أساليبِ الفهمِ المتوارثةِ التي تُؤدّي . في أغلب الأحيان . إلى نتائج خاطئة[4].

---

[1] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) :327/2 [21. 22 البقرة].

[2] على ما ذكره الإمام القرطبيُّ في تفسيره للآية (170) من سورة البقرة:212/2وما بعد، وينظر: البيضاوي مفسرًا، حاجي :354 ـ 355 ، القرآن والنظر العقلي: 105 وما بعد.

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 545. وينظر: كبرى اليقينيات الكونية ، البوطي:33.

[4] ينظر: القرآن والنظر العقلي، فاطمة إسماعيل:106، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ، السيد الصالح : 54 فما بعد .

ثانيًا: اجتنابُ الظَّنِّ وذمُّ الهوى:

إنَّ القرآنَ الكريم . وهو بسبيلهِ إلى بناءِ منهجٍ علميٍّ متكاملٍ للوصولِ إلى العقيدةِ الصَّحيحةِ دعا إلى اجتنابِ الظَّنِّ في مسائلِ العقيدةِ، وذمَّ الهوى؛ لأنَّ الظّنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئًا، ولأنَّ " المظنونَ لا يفيدُ اليقينَ.. والمبني على الظنِّ أولى أنْ يكونَ ظنيًّا "[1] وممّا ورد في القرآن بخصوص ذلك :

ـ قوله تعالى: {إِنَّ الّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المَلائكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْني من الحَقِّ شيئًا} [النَّجم:27ـ28].

وقولُهُ تعالى: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ منْ في الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عنْ سَبيلِ اللهِ إِنْ يتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلّا يَخْرُصُونَ}[الأنعام:116]، وقولُه: {سَيقُولُ الذينَ أَشْرَكُوا لَوْشاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا ولا آباؤُنا ولا حرَّمْنَا منْ شيءٍ كذلكَ كذَبَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِم حتّى ذَاقُوا بأسَنَا قُلْ هلْ عنْدَكمْ مِنْ علْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنا إِنْ تتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وإِنْ أَنْتُمْ إِلّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام:148].

فالمتَّبِعونَ للظَّنِّ وُصِفُوا بعدمِ العلمِ وبالكذِبِ والتَّخَرّصِ؛ لذلك فإنّ " الاكتفاءَ بالظَّنِّ في أصولِ الدينِ غيرُ جائزٍ "[2] يقولُ نظامُ الدّين النّيسابوريُّ (850هـ) ـ في تفسيره لقوله تعالى:

{.إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دونِ اللهِ وَيَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف:30]:"... وفيهِ أَنَّ مجَرَّدَ الظَّنِّ والحِسْبانِ لا يَكفي في أصولِ الدينِ، بلْ لا بدَّ فيه من القَطْعِ واليَقينِ.."[3] وليس المقصودُ بهذا الظَّنِّ المَحظُورِ الظَّنَّ الذي اصْطلحَ عليهِ الفقهاءُ في الأمورِ التَّشريعيةِ " فإنَّهم أَرادُوا بهِ العلمَ الرَّاجحَ في النَّظَرِ مع احتمالِ الخطأِ احتمالًا مَرجوحًا لتعسّرِ اليقينِ في الأَدلّةِ التَّكليفيَّةِ..."[4] وبخصوصِ ذمِّ الهوى؛

---

[1] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):330/2. وينظر : القرآن والنَّظر العقلي: 106 وما بعد.

[2] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):565/3. في تفسيره للآيتين (78 ـ 79) من سورة البقرة

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان:424/3.

[4] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: 26/8 عند تفسيره للآية (116) من سورة الأنعام. وينظر . في جواز الظَّنِّ في الفروع: مفاتيح الغيب(التفسير الكبير): 565/3 في تفسيره آيتي البقرة المار ذكرهما، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، البيضاوي:39 والقرآن والنظر العقلي: 106 ـ 107 .

فلأنَّ الأحكامَ المبنيّةَ على الهوى تكونُ فاسدةً وباطلةً لاختلافِ الأهواءِ وعدمِ اتّفاقِها ، وحيثُ يوجدُ الهوى ينْتفي العلم والحقُّ ويَظهَرُ الضَّلالُ والضَّياعُ والظُّلمُ. ومن شواهد ذمّ الهوى في القرآن الكريم:

ـ قوله ـ تعالى . :{أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكونُ عليهِ وَكيلًا}[الفرقان:43] ، وقوله تعالى:{بلْ اتبَّعَ الذينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بغيرِ علْمٍ فَمَنْ يَهْدي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ منْ ناصرِينَ} [الروم:29]. ففي الآيةِ الأُولى يخاطبُ المَولَى سبحانه وتعالى رسوله ويقول ما معناه: " مَنْ كانَ في طاعةِ الهَوى في دينِهِ يَتبعهُ في كلِّ ما يأتي ويَذَرُ لا يَتبصَّر دليلًا ولا يُصْغي إلى بُرهانٍ فهو عابدٌ هواه وجاعلُهُ إلَهـهُ.."[1]؛ فهذا الذي لا يَرى مَعبودًا إلّا هَواه كيفَ تَستطيعُ أنْ تَدْعوَه إلى الهُدى، أفتتوكَّلُ عليه وتجبرُه على الإسلام! وفي الثَّانية يبيّنُ أنَّ الذينَ ظَلَمُوا بالإشراكِ اتَّبَعُوا أهواءَهُم جاهلينَ هائمينَ على وُجوهِهم؛ فمَنْ يَقْدِر على هدايتِهم! وليس هناك مَنْ يخلصُهم من الضَّلالةِ، ويحفظهم من آفاتها [2]؛ فاتّباعُ الهَوى مُضادٌّ لما أمرَ به اللهُ سبحانه وتعالى من النَّظَرِ والرَّجوعِ إلى القرآنِ الكريمِ وإلى السُّنةِ النَّبويّةِ للوقوفِ على العقيدةِ الصَّحيحةِ واعتناقِها.

ثالثًا: الدَّعوةُ إلى النَّظَّرِ والتَّفكير:

لمْ يكتفِ المَولَى سبحانه وتعالى بالدَّعوةِ إلى نَبْذِ التَّقليدِ واجْتنابِ الظَّنِ في مسائلِ العقيدة وبذمّ الهوى المُفسِدِ للحياةِ . بل حضَّ في كثيرٍ من آياتهِ على النَّظَرِ والتَّفكيرِ في مَلكوتِ السَّمواتِ والأرضِ، والتَّأملِ في بديعِ مَخلوقاتِهِ وعَجائبِ صُنْعِهِ للاستدلالِ على وجودِ الخَالقِ العَظيمِ وَوَحدانيّتهِ واتصّافِهِ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، وإثْباتِ نبوَّةِ الأنبياءِ عمومًا، ونبوَّةِ محمدٍ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ خصوصًا، وَإثباتِ البَعثِ والجَزاءِ والقَضايا الغَيبيّةِ الَّتي وَردَ ذكرُها في القرآنِ الكريمِ بوضوح تامّ؛ فالقرآنُ الكريمُ كلُّهُ ـ على حدّ قولِ

---

[1] الكشاف، الزّمخشري: 282/3. وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي:481، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي:168/3..

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 538.

ابنِ رُشدٍ (595هـ) " إنَّما هو دعاءٌ إلى النَّظَرِ والاعتبارِ، وتَنبيهٌ على طرقِ النَّظَر.."[1]
ومنْ شواهدِ القرآن في الحضِّ على النَّظَرِ والتفكّر والاعتبار:

ـ قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمواتِ والأرضِ وما خلقَ اللهُ منْ شَيءٍ وأنْ عَسَى أنْ يَكُونَ قَد اقْتربَ أجَلُهمْ فَبأَيِّ حَديثٍ بعدَهُ يُؤْمنُونَ} [الأعراف:185]، وقوله :{ قُلْ انْظُروا ماذا في السَّموات والأرض وَمَا تُغني الآيات والنذر عنْ قَومٍ لا يُؤْمِنُونَ}[يونس:101]، وقولُه: {فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ }[الطارق:5]، وقولُهُ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولِي الألْبابِ. الّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ}[آل عمران:190-191]، وقولُهُ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكامًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ منْ خِلالِهِ وَيُنْزِلُ من السَّماءِ من جِبالٍ من بَرَدٍ فَيُصيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبْصَارِ. يُقَلِّبُ اللهُ الّليلَ والنَّهار إِنَّ في ذلكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ}[النور:43-44] إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ القرآنيّةِ الكثيرةِ ـ الأمر الَّذي جعلَ الكثيرينَ من العلماءِ يَرونَ أَنَّ النَّظَرَ في معرفةِ اللهِ واجبٌ[2]؛ يَقُولُ القاضي أبوبكرٍ البَاقلانيُّ(403هـ) في حديثه عن الواجبِ على المكلَّفِ:".. وَإذا صَحَّ وُجوبُ النَّظَرِ؛ فالوَاجبُ على المكَلَّف النَّظَرُ والتَّفَكُّرُ في مَخْلوقاتِ اللهِ، لا في ذاتِ اللهِ، والدَّليلُ عليهِ: قَولُهُ تَعَالى: {ويَتَفَكَّرونَ فِي خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ } [آل عمران:191] وَلَمْ يَقُلْ: في الخالقِ، وأيضًا قَولُهُ تَعالى: {أَفَلا يَنْظُرونَ إلى الإبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[الغاشية:17]؛ فَالنَّظَرُ والتَفكّرُ والتَّكييفُ يَكونُ في المَخْلُوقاتِ، لا في الخالق.."[3]، ويَرَى القاضي عبدُالجبَّارِ الهَمذانيُّ (415هـ) في تفسيره قوله تعالى:{إِنَّ في

(1) مناهج الأدلّة في عقائدِ الملّة :150. وينظر: القرآن والنَّظَر العقلي: 157، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة عبدالعزيز: 121.

(2) ينظر: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، البيضاوي:68، المواقف، الإيجي: 28، التحقيق التام في علم الكلام ، الظواهري:34 ، القول السديد في علم التوحيد، أبو دقيقة :69، والمدخل إلى دراسة علم الكلام ، حسن الشافعي:140.

(3) الإنْصاف في ما يجبُ اعتقاده ولا يجوز الجهل به:29.

اختلافِ اللّيلِ والنَّهارِ ومَا خَلَقَ اللهُ في السَّمواتِ وَالأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[يونس:6] ما يَدُلُّ على وُجُوبِ النَّظَرِ؛ لأَنَّهُ يَكشِفُ عن الحقيقةِ ، وَيُوصِلُ إلى المعرفةِ الصَّحيحةِ ، فيقولُ : "..يدُلُّ على وجوبِ النَّظَرِ، وَأَنَّهُ يُفضي إلى المَعرفةِ والحقّ؛ لِأَنَّهُ نَبَّهَ بهذه الآيةِ على الدَّلالةِ في الوَجهِ الّذي قد ذكره..."[1] إلى غيرِ ذلكَ ممّا قيل في هذا المجال.

المَطلبُ الثَّاني:

شموليةُ المُعالجةِ القرآنيةِ للقَضَايا العقَدِيَّةِ وتعدّدُ الأَدلّةِ وتَنَوّعُها

على الرَّغمِ ممّا سَبقَ ذكرُه منْ أَنَّ القُرآنَ الكريمَ ذَمَّ التَّقليد ودَعَا إلى اجتنابِ الظَّنِّ والهَوى، وحَضَّ على النَّظَرِ والتَّفَكُّرِ والاعتبارِ في القَضايا العقديّةِ فإنَّ اللهَ ـ سبْحانَهُ وتَعالى لمْ يَكلِ الإنسانَ إلى عقْلِهِ واجْتهاداتهِ للوُصولِ إلى العَقيدةِ الصَّحيحةِ، وإنَّما ضَمَّنَ القرآنَ الكريمَ أصولَها ومسائلَها بالتَّفصيلِ من خلالِ آياتهِ الكثيرة؛ لذلك فإنَّ العقيدة شَغَلتْ

[1] متشابه القرآن:353/1. 354 فقرة:32. وَيُنْظَر: شرح الأصول الخمسة: 39، وتفسير آيات العقيدة : 689/2.

حيّزًا كبيرًا جدًّا من آياتِ القُرآن؛ فإنَّ القرآنَ كلَّه في قَضايا العَقيدةِ ما عَدا ما وردَ في الأَحكامِ الشَّرعيّةِ على حدِّ قولِ الفَخْرِ الرَّازِي(606هـ) حيث يَقولُ ـ في معرِضِ حديثِهِ عن أَهميّةِ علمِ الكلامِ (السّنّي): "...أَنَّ الآياتِ الواردةَ في أَحكامِ الشَّريعةِ أَقلُّ من ستّمائة آية، وَأَمَّا البَواقي ففي بيانِ التَّوْحيدِ والنُّبوّةِ، والردِّ على عَبَدَةِ الأوثانِ، وأَصنافِ المشركينَ، وأَمّا الآياتُ الواردةُ في القصصِ؛ فالمقصودُ منها معرفةُ حكمةِ اللهِ تعالى وقدرتِهِ..."[1]، ويقولُ في تفسير قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذي أنشأَ جنَّاتٍ مَعرُوشاتٍ وغيرَ مَعرُوشاتٍ} [الأنعام:141]:" اعْلمْ أَنَّ اللهَ تعالى ـ جَعَلَ مدارَ هذا الكتابِ الشَّريفِ على تقريرِ التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ والمَعادِ وإثْباتِ القَضَاءِ والقَدَرِ، وأَنَّهُ تعالى بالغَ في تَقريرِ هذه الأُصولِ..."[2] ومنْ نماذجِ مُعالجةِ القرآنِ الكريمِ للقَضايا العَقديّةِ:

أولًا: في مجال الإلَهيَّات:

أطنبَ القرآنُ الكريمُ في الحديثِ عن المسائلِ الَّتي تَندرجُ تحت القِسم الأوَّل من أقسام علم العقيدةِ (الإلهيات) وهي المسائلُ الّتي يُبحثُ فيها عن وجودِ اللهِ وصفاتِهِ ـ وفصَّل فيها أيّما تَفصيلٍ، فَذكرَ الأدلَةَ والبراهينَ على وجودِ اللهِ ووحدانيّتِهِ، وتحدَّثَ عن ما لَهُ منْ الصّفاتِ وما لَهُ علاقةٌ بهذِهِ الصَّفاتِ، ففي مجالِ الاستدلالِ على وجود اللهِ وَرَدتْ آياتٌ كثيرةٌ تضمنَّتْ أدلَّةً وبراهينَ فطريّةً وكونيةً وعقليةً على ما استخلصَهُ منها المفسّرونَ والمتكلّمونَ . فهناك نصوصٌ كثيرة تُشيرُ إلى الفِطرةِ الَّتي فطرَ اللهُ الإنسانَ عليها، وعبَّر عنها بعضُهم بـ" برهان الفطرة "[3] وهي: ما يَشعُرُ به كلُّ إنسانٍ داخلَ نفسِهِ من الإقرارِ بوجودِ إلهٍ خالقٍ للكونِ مدبّرٍ له، " ولولمْ يستخدمْ طرقَ البرهنةِ المختلفةِ، وإنْ كانَ يحتاجُ إلى أنْ يلتفتَ إلى نفسهِ، ويجرّدها من الغفلةِ ليحسَّ به إحساسًا قويًّا واضحًا"[4] ومن شواهد الآيات التي استُدلَّ بها على فِطْريةِ وجودِ الله:

---

[1] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): 89.88/2.
[2] المصدر السابق نفسه:210/13. وينظر. أيضًا .:96/14، وتفسير آيات العقيدة:487/2.
[3] كما ذكرَ القاسميُ في كتابِهِ: دلائل التوحيد:22.
[4] لمحات من الفكر الكلامي، حسن الشافعي:12. وينظر: تفسير آيات العقيدة :94/1.

ـ قولـه تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ منْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذا غَافِلِينَ} [الأعراف:172]، وقولُهُ:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}[الرّوم:30]، وقولُهُ:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ}[الزّخرف:9]، وقولـه:{وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[يونس:12]. إلى غيرِها من الآيات.

فهذهِ الآياتُ من جملةِ الآياتِ الَّتي استدلَّ بها القائلونَ بفطريةِ وجودِ اللهِ . سبحانه وتعالى، يقولُ إسماعيل بنُ كثير(774هـ) في تفسيرِه لآية الأعراف [172]المسَّماة بـ "آية الميثاق": " يُخبِرُ تعالى أَنَّهُ استخرجَ ذُرِّيَةَ بني آدَمَ منْ أصْلابِهِمْ شاهدينَ على أنفسِهم أَنَّ اللهَ رَبُّهم ومليكهُم، وأَنَّهُ لا إله إلّا هو، كما أَنَّهُ فطَرهم على ذلكَ، وجَبَلهمْ عليه، قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ..} [الرّوم:30] وفي الصَّحيحين عنْ أبي هريرةَ . رَضِي اللهُ عنه . قالَ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم :(كلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ.[1].. ومنْ ثمّ قال قائلون من السَّلف والخَلَفِ : إنَّ المرادَ بهذا الإشْهادِ إنَّما هو فطرهمْ على التَّوحيدِ كما تقدّمَ في حديث أبي هريرة..."[2]، ويرى ابنُ قيّم الجوزيّة أنَّ تفسيرَ الفِطْرَة في قوله تعالى: {..فِطْرتَ اللهِ..} بمعنى الاعترافِ بوجودِ اللهِ هو التَّفسيرُ الذي تؤيّدُهُ دَلالاتُ الكتابِ والسُّنةِ والآثار وأقوال السَّلفِ[3]، ويَقولُ الغنيمي الميداني(1298هـ) في شرحِهِ للعَقيدةِ الطَّحاويّة: ".واعلمْ أنَّ المصنَّف قد أَعرضَ عن بحثِ الوجودِ واكْتفى بِما هو ظاهرٌ في مقامِ الشُّهودِ؛ ففي التَّنزيلِ {قالتْ رُسُلُهُمْ أَفي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّمَواتِ والأرض..}[إبراهيم:10] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

---

[1] ينظر: صَحيح البخاري بشرح فتح الباري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلمَ الصبي 219/3(1359)،وصحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة 157/16. 158(2658). ولفظ الصحيحين : "ما مِن مولودٍ إلّا يُولد..".

[2] تفسير القرآن العظيم: 272/2 وما بعد

[3] ينظر: شفاء العليل : 302 وما بعد

مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ..}[لقمان:25] فوجودُ الحقّ ثابتٌ في فِطْرةِ الخَلْقِ كما يشيرُ إليهِ قولُهُ تعالى:{..فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..}[الروم:30] وَيُومِئ إليهِ حديثُ: "كلُّ مولودٍ يولدُ على الفِطْرةِ" وإنَّما جاء الأنبياء لبيان التَّوحيدِ..."[1]. وأَخْتِمُ الحديثَ عن دليلِ الفِطْرةِ في القُرآنِ الكريمِ بما يَذْكُرُهُ الشَّيخُ محمّد عَبْده في تفسير قوله ـ تعالى:{كلّا إنَّها تذكرة. فمن شاء ذكره} [عبس:12.11] حيثُ يقولُ: "..ثُمَّ أرادَ أنْ يُبيّنَ أنَّ الهدايةَ الَّتي يسوقُها اللهُ إلى البشرِ على أَلسُنِ الرُّسُلِ ليستْ ممّا يُحتالُ لتقريرهِ في النُّفوسِ وإيجادهِ في القلوبِ، وإنَّما هي تَذكرةٌ تُنَبّهُ الغَافلَ إلى ما غَرزَ اللهُ في فِطْرتِهِ من الخَيرِ، وأودَعهُ غريزَتهُ من وجدانِ معرفةِ الخالقِ في الخلقةِ...{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى} [الأعلى:9] ثُمَّ أرادَ أنْ يزيدَ بيانًا، ويوضِّحَ لنا أنَّ معرفةَ اللهِ وتوحيدَهُ لَيْسا من العقائدِ الَّتي يَلزمُ أنْ تَنْشأَ في القلوبِ بل هما مركوزتانِ في الجِبِلّةِ، ولا تحتاجانِ إلَّا إلى التَّذكير..."[2] إلى غيرهمِ من المفَسّرين والعلماءِ الذينَ يَرونَ أنَّ القرآنَ الكريمَ أشارَ في كثيرٍ من آياتهِ إلى الأدلَّةِ الفطريَّةِ على وجودِ اللهِ وتوحيده.

ومنْ شواهدِ الآياتِ القرآنيةِ الكثيرةِ الَّتي تَضمنَّت الأَدِلَّةَ الكَونيَّةَ والعَقليّةَ عَلى ما ذَهَبَ إليهِ العلماءِ:

ـ قولُهُ تعالى .:{إنَّ في خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ والفُلْكِ الَّتي تَجْرِي في البَحْرِ بما ينْفَعُ النَّاسَ وما أَنْزَلَ اللهُ من السَّماءِ منْ مَاءٍ فَاَحْيا بهِ الأرضَ بَعَدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِها منْ كُلِّ دَابّةٍ وَتَصْريفِ الرِّياحِ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة:164]، وقولُهُ:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ اللَّيلَ سَرْمَدًا إلى يَومِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ النَّهارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص:72.71] وقوله:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا في الآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كلِّ شَيْءٍ شَهِيدٍ}[فصلت:53] وقولُهُ:{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيْءٍ أَمْ

[1] شرح العقيدة الطَّحاويّة :55.
[2] تفسير جزء عمّ:17. 18. وينظر: تفسير آيات العقيدة :570/2.

هُمُ الخَالِقُونَ .أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لّا يُوقِنُونَ} [الطور:35 36] إلى غيرِ ذلكَ من عشَراتِ الآياتِ القرآنيةِ في هذا المَجال. وقد أُخذَ من هذه الآياتِ وأشباهها الكثير من الأَدِلَّة الكونيَّة والعَقليَّةِ بصورتِها الواضِحةِ البَعيدةِ عن التَّعقيداتِ [1] الموجودةِ في بعض كتبِ علمِ الكلامِ عند عَرْضِ مثلِ هذه الأدلَّةِ ، ومن أشْهرِ هذهِ الأدلَّةِ والبَراهين:

دَليلُ **الاختراع:** ويسمَّى أيضًا بـ "دليل الخَلق" و" دليل الصُّنع أو الحدوُث"، ويُعدُّ من أَعظمِ الأَدلّة، وأَبسطِها حيثُ يدورُ حولَ أَمرٍ بَدَهيٍّ، وهو: أَنَّ هذه الموجوداتِ مخترعة وأنَّ كلَّ مخترَعٍ فلهُ مختَرِعٌ وأَنَّ كلَّ مَخْلوقٍ لابدَّ له من خالقٍ، وأنّ الموجوداتِ لا بدَّ لها من مُوجِد، بعبارات مختلفةٍ والغايةُ واحدةٌ.[2] وقد وردت الإشارةُ إليه في أكثرَ من ثمانينَ آيةً في مواضعَ متفرّقةٍ من القرآنِ الكريمِ.

دَليلُ العِنايةِ: وهو مكملٌ لـ "دليلِ الاختراعِ " ويُسمّى أيضًا بـ"الإتْقان" و"التَّقدير والإحكام" وعند بعض الفلاسفة "العلَّة الغَائيَّة"[3] ولهُ أَسماءٌ أُخرى. وفي القرآنِ الكريمِ عشَراتُ الآياتِ التي تُوجّهُ أنظار النَّاسِ إلى عنايةِ اللهِ بالكونِ وتَنْظيمِه لَه، ويَعتمدُ هذا الدليلُ بأَسْمائِهِ وفروعِهِ المتعدّدةِ على ما يلاحظُهُ الإنسانُ من الإتقانِ البَديعِ في بناءِ الكَونِ وفي تراكيبِ أجزائِهِ وذرَّاتهِ الدَّقيقةِ وتَطابقِها مع بعضِها تطابقًا مُحكمًا، وأنَّ هذا الوَجْهَ المُتقنَ قُصِدَ منه العنايةُ بالإنسانِ والاهتمامُ بشأنِهِ. وقَدْ وجَّهَ الأَنْظارَ إلى هذه الأَدلَّةِ القرآنيةِ كثيرٌ من العلماء، وفي مقدمتهم: ابن رشد الفيلسوف (595هـ) الذي رأى أَنَّ الأدلّةَ على وجودِ اللهِ يجبُ أنْ تكونَ بديهيةً سهلةً وغيرَ معقَّدة، وهذا الأمرُ لم يَتوفَّرْ ـ حسبَ رأيِهِ ـ إلّا في الأدلّة التي ساقَها القرآن الكريم، وهي الَّتي استخدمَها الفلاسفة أيضًا،

---

[1] ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملَّة، ابن رشد: 136.

[2] ينظر: المصدر السابق نفسه:152، ومفاتيح الغيب(التفسير الكبير):97/2، وإشارات المرام، البياضي:83،وإيثارُ الحقّ على الخَلق، ابن الوزير:50 فما بعد، والتَّحقيق التّام في علمِ الكلام، الظواهريّ:48 وما بعد.

[3] العلة الغائية، هي عبارة عن القصد الذي يدفع الإنسان إلى تحقيق عملٍ ما من الأعمال؛ فالقصدُ: العلّةُ والعملُ هو المعلولُ أي: أنْ يكونَ وجودُ المعلول من أجلِ العلَّةِ، ومن شأنِ العلَّة أنْ تسبقَ المعلولَ في الوجودِ الذّهني وتتأخَّرَ في الوجودِ الخَارجي، وليسَ معنى الاستدلالِ بهذهِ الظَّاهرةِ في الكَونِ على وجودِ اللهِ . أنْ تُعلَّلَ أفعالُ اللهِ بالعللِ الغَائيةِ، ولكنَّ المقصودَ أنَّ الكوكبَ مركَّبٌ في وجودِهِ على نَحوٍ تنظيميٍّ معيَّنٍ يستتبعُ غاياتٍ مهمّةً للإنسان. ينظر: التَّعريفات للجرجاني: 168، وكبرى اليقينيات الكونية للبوطي:88، والبَيضَاوي مفسّرًا،حاجي:356هـ(3).

وقد عابَ على بعضِ الأدلّةِ التي استَدلَّ بها المتَكلّمونَ على وجودِ اللهِ يقول بعدَ إنْكارِهِ لشَرعيةِ الطّرقِ المتَّبعةِ لدى بعض المتكلّمينَ:" فمَا هيَ الطَّريقةُ الشَّرعيَّةُ التي نبَّهَ الكتابُ العزيزُ عليها، واعتمدَها الصَّحابةُ رضوانُ اللهِ عليهم ؟ قلنا: الطَّريقُ التي نبَّهَ الكتابُ العزيزُ عليها. تَنحصِرُ في جنسين:

أحدهما: طريقُ الوقوفِ على العنايةِ بالإنسانِ، وخلق جميعِ الموجوداتِ منْ أَجلِها، ولنسمّ هذه /دليل العناية/، والطَّريقةُ الثَّانيةُ: ما يَظهرُ من اختراعِ جواهرِ الأشياءِ الموجوداتِ، مثل: اختراعِ الحياةِ في الجمادِ والإدراكاتِ الحسّيةِ والعقل، ولنسمّ هذه /دليل الاختراع/.."[1] ثمَّ يشيرُ إلى أصولِ هَاتين الطَّريقتين بالتَّفْصيل، ويستعرضُ كثيرًا من الآيات القرآنية التي ذكرتُ نماذجَ منها، ويذكر الإمام الرَّازي(606هـ) في تفسير قوله ـ تعالى .:{يُغْشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطْلُبهُ حَثيثًا..} [الأعراف:54] كلامًا طويلًا في الدّفاعِ عن التَّأمل والنَّظَرِ في الكونِ للوصولِ إلى المكوّنِ إلى أن يقول: "إذ اثبتَ هذا، فنقول: من النَّاس من اعتقدَ أنَّ جملةَ هذا العالم محدَث، وكلّ محدَثٍ فلهُ محدِثٌ ، فحصلَ له بهذا الطَّريقِ إثباتُ الصَّانِع ..."[2] إلى غير ذلك ممَّا قيلَ في شرحِ هذهِ الأدلّةِ .

برهانُ الإمكانِ والوُجوبِ: ويَعْتمدُ هذا البرهانُ على أنَّ جميعَ الموجوداتِ في الكونِ "أُمورٌ ممكنةٌ وُجِدَ كُلٌّ منها بوجهٍ مخصوصٍ من وجوهٍ محتملةٍ، وأَنْحاءٍ مختلفةٍ؛ إذْ كانَ من الجائزِ مثلًا أَنْ لا تتحرَّكَ السَّمواتُ أو بعضُها كالأرضِ، وأنْ تتحرَّكَ بعكسِ حركتِها وبحيثُ تصيرُ المنطقةُ دائرةً مارةً بالقطبينِ، وأنْ لا يكونَ لها أوجٌ وحضيضٌ أصلًا، أو على هذا الوجهِ لبساطتِها، وتساوي أجزائها؛ فلا بدَّ لها منْ موجدٍ قادرٍ حكيمٍ يوجدُها على ما تَستدعيهِ حكمتُهُ وتَقتضيهِ مشيئتُهُ..."[3] وهو واجبُ الوجود سبحانه وتعالى وقد وردت الإشارةُ إلى هذا البرهانِ في كثيرٍ من النّصوصِ القرآنيةِ من ذلك: {أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيفَ

---

[1] مناهج الأدلّة في عقائد الملّة:151 وما بعدها. وينظر: أصول العقيدة الإسلامية، عبدالغني:58 وما بعد.
[2] مفاتيح الغيب :121/14 وما بعد . وينظر: تفسير آيات العقيدة :483/2.
[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي :33عند تفسيره الآية[164 البقرة]. وينظر: المواقف، الإيجي:266، البيضاوي مفسّرًا:357، تفسير آيات العقيدة:89/1 وما بعدها.

مدَّ الظِّلَّ ولوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكنًا ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمسَ عَلَيْهِ دَليلًا}[الفرقانْ:45] و{قُلْ أرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ اللَّيلَ سَرْمَدًا ...أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص:71-72] و{يَا أَيُّها الإنسانُ مَا غَـرَّكَ بِرَبِّـكَ الكَـريمِ. الّـذي خَلَقَـكَ فَسَـوَّاكَ فَعَـدَلكَ. فـي أَيِّ صُـورَةٍ مـا شَـاءَ رَكَّبَـكَ} [الانفطـار:6-8] إلـى غيرهـا مـن الآيـات؛ فهـذهِ الآيـاتُ وأمثالُهـا تشـيرُ إلـى أَنَّ الصُّـورَ المتعدّدةَ الَّتـي يُمكنُ أَنْ تعتريَ الموجوداتِ، وتَخصيصَـها بصـورةٍ معيَّنـةٍ موافقـةٍ للحكمـةِ والمنفعةِ المنوطـةِ بها[1] والوجـهِ الذي يَحقُّ أنْ تُخلقَ عليهِ . دليلٌ على وُجودِ مخصِّصٍ قادرٍ حَكيمٍ واجبِ الوجودِ، وهو الله . سبحانه وتعالى الموجِدُ الذي أوجدَها من العدم.

وأمَّا بخصـوصِ صـفاتِه ـ سـبحانَه وتعـالى فقد وردتْ فـي القرآن الكـريمِ آيـاتٌ كثيـرةٌ تتحدَّث عن صفاتِ اللهِ وأَسمائهِ ومظاهرِها في هذا الكونِ بأساليبَ متنوّعةٍ ومتعدّدة وبأَدلَّة واضحةٍ ومنْ شواهدِ الآياتِ الواردةِ في ذلك:

ـ قولـه تعـالى: { وَإِلَهُكُـمْ إِلـهٌ وَاحِـدٌ لا إِلـهَ إِلّا هُـو الـرَّحمنُ الـرَّحِيمُ} [البقـرة:163] وقولـه:{..و لا يُحيطُونَ بِشَـيْءٍ منْ عِلْمِـهِ إِلّا بِمـا شَاءَ..}[البقرة:255] وقولـه :{اللهُ لَا إِلـهَ إِلّا هُـو الحَـيُّ القَيُّـومُ}[آل عمـران:2] وقولـه:{وَللهِ الأَسْـماءُ الحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِها..}[الأعراف:180] وقولُه:{قُلْ لَوْكانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البْحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف:109] وقولُـه:{لَوْكَانَ فِيهِمَا آلِهَـةٌ إِلّا اللهُ لَفَسَدَتا..} [الأنبياء:22] وقولُه:{مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَميعٌ بَصِيرٌ} [لقمان:28] وقولُهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:11] وقولُهُ: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ } [الحديد:3-4] إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الكثيرةِ الوَاردةِ في هذا المجال. وبالنَّظرِ إلى هذه الآيات ومثيلاتها . نجد أنَّها أَشارتْ إلى مَا لَهُ . سُبحانَهُ وَتَعَالى ـ من أسماءٍ وصفاتٍ تُمثِّلُ ذَاتَهُ وقدرتَهُ

[1] ينظر: الكشاف للزمخشري:67/3، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي :55/3.

وحكمتَهُ وكلَّ ما يليقُ بهِ من كمالٍ ، وقَد تحدّثتْ كتبُ علمِ الكلامِ والتَّفسير باستفاضةٍ عنْ هذه الصّفاتِ والأسماءِ وطريقةِ ثبوتِها ومعانِيها ومَا يَترتَّبُ عليها من أَحكامٍ وآثار([1]). وقد تعدَّدت أساليبُ القرآنِ الكريمِ في إثْباتِ الصِّفاتِ والأسماءِ، وتنوَّعت ؛ فمنْ أساليبَ تقريريَّةٍ إلى أَدلَّةٍ عقليّةٍ وعلميَّةٍ منْها:

دليـلُ التَّمـانُع: ويُسمّى أيضًـا" التَّطـارد" فـي إثبـاتِ وَحدانيّـةِ اللهِ سبحانه فـي قولِـهِ تعالى:{لَوْكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسدَتا..}[الأنبياء:22] فقد تضمنت الآيـة هذا الدليل، ووجه ذلك أنَّها تنبّهُ إلى أَنَّ تعددَ الآلِهةِ يُؤدّي إلى تَمانعٍ مآلهُ فسادُ السَّمواتِ والأرضِ؛ "إذْ لو كانَ معهُ إلهٌ يقدرُ على ما يقدرُ عليه الآخَرُ، فإنْ توافقتْ إرادتُهما، فالفعلُ إنْ كانَ لهما لزمَ اجتماعُ مؤثّرين على أثرٍ واحدٍ، وإنْ كانَ لأحدِهما لزمَ ترجيحُ الفاعلِ بلا مرجّح وعجز الآخر المنافي لإلهيّتِهِ، وإنْ اختلفتْ لزمَ التَّمانعُ والتَّطاردُ" [(2)] إلى غيرِ ذلكَ من الأدلّةِ الواردة في القرآن الكريم [(3)].

ثانـيًا: وفي مَجالِ النّبوَّات:

وَهي القَضايا الَّتي يُبحثُ فيها عن إثباتِ نبوَّةِ الأنبياءِ وأحوالِهم وصفاتِهم . فقد تحدَّثَ القرآن الكريم باستفاضـةٍ عن الأنبيـاءِ والرُّسلِ والحكمـةِ من إرسالِهم، ووقفَ طـويلًا عند قصصِـهم مع أقوامِهم، وذكرَ ما أجرى اللهُ على أيدِيهم من المُعجزاتِ الدَّالـةِ على إثبات نبوَّتِهم، وبسطَ الحديثَ عن نبوَّة سيّدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم. وإثباتِها بالمعجزةِ

[(1)] الواجبُ في حقِّهِ سبحانه وتعالى أنَّه متَّصفٌ بكلّ صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفاتِ النَّقصِ؛ إذ إنّ ألوهيتَهُ تستلزمُ ذلك ، وقد وصفَ اللهُ نفسَهُ في كتابِهِ بكلّ ما يليقُ بهِ من كمالٍ، وكانَ منهجُ السَلفِ في إثباتِ الصفاتِ يتمثَّلُ في أَنَّه . سبحانَه . لا يُوصفُ إلَّا بما وصفَ به نفسهُ أوصفهُ به رسولُه معَ تنزيههِ عن أن يشبهَ شيْءٌ من صفاتهِ شيئًا من صفاتِ المخلوقين، وأمّا المتكلّمونَ من علماء السنة فقد قسموا الصفات إلى أقسام متعددة وفصّلوا كلّ ما يتعلق بها من قضايا وإشكالات بالجمع بين النقل والعقل. بنظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء الصفات، الشنقيطي: 3، منهج السلف في العقيدة:87 وما بعد، أصول العقيدة الإسلامية :96 وما بعد ، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام:285.

[(2)] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي :34في تفسيره [الآية 164 البقرة].، 428 في تفسيره[الآية 22الأنبياء] . وينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار:279، المواقف للإيجي:278ـ 279، شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي:51، التحرير والتنوير لابن عاشور:38/17 وما بعد في تفسيره [الآية 22الأنبياء]، علم التوحيد عند خلص المتكلمين:176 وما بعد.

[(3)] ينظر: تفسير آيات العقيدة :138/1. 153، 166 وما بعد.

الخالدةِ الَّتي هي القرآنُ الكريمُ نفسُهُ ليكونَ خاتمًا لرسلِ اللهِ وأنبيائهِ ، ويكونَ القرآنُ خاتمًا للكتبِ المنزلةِ([1]) . ومن شواهدِ الآيات التي تتحدَّثُ عن قضايا النبوَّةِ والرِّسالةِ:

. قوله . تعالى . :{وَإِنْ كنتُمْ في رَيْبٍ ممّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنَا فأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُـهَداءَكُمْ مِـنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْـتُمْ صَـادِقِينَ . فَـإنْ لَـمْ تَفْعَلُـوا ولَـنْ تَفْعَلُـوا فَـاتَّقُوا النَّـارَ الَّتـي وَقُودُها النَّـاسُ والحِجـارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـافِرِينَ} [البقرة:23-24] وقولُـهُ:{كَانَ النَّـاسُ أُمَّـةً وَاحِـدَةً فَبَعَـثَ اللهُ النَّبِيّـينَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنْـذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعهـمْ الكِتـابَ بـالحَقّ لِـيَحْكُمَ بَـيْنَ النَّـاسِ فيمَـا اخْتَلَفُوا فِيهِ} [البقرة:213] وقولُهُ: {يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ من النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ} [المائدة:67] وقولُـهُ:{وَمَا نُرْسِلُ المُرسلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيهِم ولاهُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام:48] وقولُهُ: {وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ} [النحل:36] وقَولُـهُ:{وَمَا أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً للنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [سبأ:28] إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الكَثيرةِ الواردةِ في شأنِ الأنبياءِ والرُّسُلِ.

ثالـثًا: وفي مَجالِ الغَيبيَّات أَو(السَّمْعيات):

وهي القَضايا الَّتي لا سبيلَ إلى الإيمانِ بها ومعرفتِها إلَّا عنْ طريقِ النَّقلِ قرآنًا وسنَّةً ـ فقدْ تَحَدَّثَ القرآنُ الكريمُ بتوسّع عن قضايا غَيبيَّةٍ كثيرةٍ ممَّا لا يمكنُ للعقلِ الوصولُ إليها بمفردِهِ كاليوم الآخر وما يَجْري فيه من الحَشْرِ والنّشرِ والميزانِ والصِّراطِ والجَنَّةِ والنَّارِ وغير ذلك؛ لأَنَّها لا تدخلُ في حدودِ إمكانياتهِ، وهي أمورٌ ممكنةٌ في نفسها، ولا يُقْبَلُ إيمانُ عبدٍ حتّى يُصَدِّقَ بها تَصْديقًا جازمًا؛ لأنّ الإيمانَ بنبوَّةِ محمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلم ونزول القرآن عليهِ يستلزمُ الإيمانَ بها، وقد نبَّهَ القرآنُ على دَلالَة العقلِ في بعضِها

[1] ينظر: تفسير آيات العقيدة:255/1ومابعد.

كمجيءِ اليومِ الآخر، وما يجري فيه من حسابٍ وجزاءٍ لتحقيقِ عدالة اللهِ ـ سبحانَهُ . ومنْ شواهد الآيات الكثيرة الواردة في هذا المجال :

ـ قولُهُ تعالى:{كَيْفَ تَكْفرُونَ باللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتًا فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:28] وقولهُ :{وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ منْها عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُها شَفَاعَةٌ وَلاهُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة:123] وقولهُ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتابِ الَّذي نَزَّلَ على رَسُولِهِ وَالكِتابِ الَّذي أَنْزَلَ منْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعيدًا} [النساء:136] وقولُهُ :{وَنَضَعُ المَوازينَ القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِها وَكَفَى بِنا حَاسِبينَ} [الأنبياء:47] وقولُهُ:{ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ من البَعْثِ فإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ منْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ. ذَلكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. وَأَنَّ السَّاعةَ ءَاتِيَةٌ لارَيْبَ فيها وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ منْ في القُبُورِ} [الحج:7.5] وقَولُهُ :{أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ. قُلْ يُحْيِيها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .الَّذي جَعَلَ لَكُمْ من الشَجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَ لَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ بِقادرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الخَلَّاقُ العَليمُ. إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس:77-83] وقولُهُ:{أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى. أَلَيْسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ علَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى} [القيامة:36-40] إِلَى غَيْر ذلك ..وبنَظرةٍ متأنيةٍ في هذه الآياتِ وغيرِها في هذا المجَال نجدُ أَنّها تضمنَّت كثيرًا من الأدلّةِ العَقليةِ بخصوصِ اليوم

الآخرِ بالإضافةِ إلى الأساليبِ التَّقْريريَّةِ والمُؤكِّدةِ بالقَسمِ وغيرِهِ في المسائل الغَيبيَّةِ الأخرى، وهي الغالبةُ كما في بعضِ الشَّواهدِ الَّتي سِيقت آنفًا . ومن نماذج الأَدلّةِ الَّتي نَبَّهَ عليها القرآن الكريم:

ـ الاستدلالُ بالنَّشْأةِ الأُولَى على الثَّانيةِ، أو قياسُ الإعادةِ على الابتداءِ: في آياتٍ كثيرة منها: {كَمَا بَدأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف:29] أي: كما أنشأكمْ ابتداءً يعيدُكم في اليومِ الآخر، وفي بَعضِها الإشارةُ إلى أنَّ الإعادةَ أسهلُ وأهونُ من الابتداءِ حسبَ مقاييس البشرِ. وَإنْ كانَ بالنِّسْبةِ إلى اللهِ ليسَ هناكَ شَيْءٌ أعظمُ وآخرُ أهونُ وأَسْهلُ عليه سُبحانهُ . كما في قولِهِ:{وَهُوَ الَّذي يَبْدؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَ هُوَ أَهونُ عَلَيْهِ} [الروم:27] فَجمعُ المتفرّقِ أسهلُ من إيجادهِ وإبداعهِ عنْ عدمٍ كما يقولُ الكندي(253هـ) [1]، وهذا الدليلُ موجودٌ أيضًا في قوله:{قُلْ يُحْيِيها الَّذي أَنْشَأها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[يس:79] ؛ "إذْ كُلُّ عَاقلٍ يعلمُ ضَروريًا أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى هذه قَدَرَ على هذهِ، وأَنَّهُ لو كانَ عاجزًا عن الثَّانيةِ لَكانَ عن الأولى أَعْجزَ وأَعْجزَ.."[2].

ـ قياسُ الإعادةِ على إحياءِ الأرْضِ الميتةِ ، أو خَلقِ السَّمواتِ والأَرضِ، أو إخراجِ النَّارِ من الشَّجرِ الأخضرِ: فبخصوصِ القياسِ على إحياء الأرضِ الميتةِ هناكَ آياتٌ كثيرةٌ من ذلك: قولُهُ تعالى:{وَاللهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابًا فَسُقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلكَ النُّشُورُ} [فاطر:9] فالمرادُ بـ{ كذلك النشور} "أي: مثلُ إحياءِ المَواتِ نُشورُ الأمواتِ في صحّةِ المقدوريةِ"[3] فليس بينهما خلافٌ، وَبِشأنِ القياسِ على خلقِ السَّمواتِ والأَرْضِ . فقدْ وردتْ آياتٌ كثيرةٌ أيضًا منها:{لَخَلْقُ السَّمواتِ والأَرْضِ أَكبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلمونَ} [غافر:57] يُنبّهُ المولى سبحانه فيها على " أَنَّهُ يعيدُ الخلائقَ يومَ القيامةِ ، وأَنَّ ذلك سهلٌ عليه يسيرٌ لديهِ بأَنَّهُ خلقَ السَّمواتِ

---

[1] رسائل الكندي الفلسفية: 37456/1،57.وينظر: القرآن والنَّظر العقلي :201، تفسير آيات العقيدة:370/1.

[2] شرح العقيدة الطَّحاوية:407. ويُنظر: الكشاف للزمخشري :99/2 [الأعراف:29] ،32/3[مريم:66. 67] البرهان في علوم القرآن للزركشي:26/2 وما بعد، تفسير القرآن العظيم لابن كثير:138/3[مريم:66ـ67]، دلائل التوحيد للقاسمي:108.

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي:575.

والأرضَ ، وخلْقُهما أكبرُ من خلقِ النَّاسِ بدأةً وإعادةً ؛ فمنْ قدَرَ على ذلك فهو قادرٌ على ما دونهُ بطريقِ الأولى والأحْرى.."[1]، وقياسُ الإعادةِ على إخراجِ النَّارِ من الشَّجرِ الأخضرِ في قوله تعالى :{ الَّذي جَعَلَ لَكُمْ من الشَجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ}[يس:80] وهو يشيرُ بعبارة الكندي(253هـ) إلى خُروج الشَّيءِ من نقيضِهِ؛ فالنَّارُ مع كونها في غايةِ الحرارةِ واليبوسةِ تتولَّدُ من الشَّجرِ الأخضرِ الممتلئِ بالرّطوبةِ والبرودةِ؛ فمنْ قدَرَ على ذلك فهو أَولى بالقُدرةِ على أنْ يخلقَ من التّرابِ حيوانًا، وفي قوله :{..يُخرجُ الحَيَّ من الميّتِ ومُخرِجُ الميّتِ من الحَيّ..} [الأنعام:95] الحيُّ والميّتُ متضادان " فكما لا يمتنعُ الانقلابُ من أحدِ الضدين إلى الآخر، وجبَ أنْ لا يمتنعَ الانقلابُ من الثَّاني إلى الأولِ؛ فكما لا يمتنعُ حصولُ الموتِ بعد الحياةِ وَجبَ . أيضًا . أنْ لا يمتنعَ حصولُ الحياةِ بعد الموتِ "[2] إلى غيرِ ما ذكرهُ العلماءُ في هذا الشَّأنِ.

ـ دليلُ الحكمةِ والعدالةِ، أو الضَّرورةِ الأخلاقيّة: ويعتمدُ هذا الدليلُ على أنَّه يقتضي أَنْ يكونَ هناك يوم يقتصُّ فيه من الظَّالمِ للمظلومِ لتحقيقِ العدالة الإلهيةِ والحكمةِ الرَّبانيّةِ، ولا يكون لهذه الحياة معنًى بدونهِ [3]، ومن الآياتِ الَّتي وَردت فيها الإشارةُ إلى هذا الدَّليلِ: قولُه تعالى: {وَما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَيْنَهما باطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الذينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذينَ كَفَرُوا من النَّارِ. أمْ نَجعلُ الَّذينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كالمُفْسِدينَ في الأرْضِ أمْ نَجْعلُ المُتَّقينَ كالفجَّارِ}[ص:27ـ28] .. فاللهُ سبحانه وتعالى ما خلقَ الخلقَ عبثًا، وَإنَّما خلقَهم ليعبدوه، ثُمَّ يجمعهم يومَ القيامةِ، فيُثيبُ المطيعَ ويعاقبُ الكافرَ، ومن مقتضى عدلِهِ وحكمتِهِ كما في الآيتين ـ أنْ لا يساويَ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ، وبينَ الصَّالحين والطَّالحين، وبين المسالمينَ والظَّالمينَ، "وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدّ من دارٍ أخرى يثابُ فيها هذا المطيعُ، ويُعاقبُ فيها هذا الفاجرُ، وهذا الإرشادُ يدلُّ العقولَ السليمةَ والفطرَ المستقيمةَ على أنَّه لا بدَّ من معادٍ وجزاءٍ؛ فإنَّا نرى الظَّالمَ الباغي يزدادُ مالُهُ

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير :91/4.
[2] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):94/13.
[3] ينظر: الإسلام يتحدّى، لوحيد الدين خان: 99.

وولده ونعيمه، ويموتُ كذلك، ونرى المطيعَ المظلومَ يموتُ بكمده ؛ فلابدَّ في حكمة الحكيمِ العليمِ العادلِ الذي لا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ من إنصافِ هذا من هذا، وإذا لم يقعْ هذا في هذهِ الدَّارِ ؛ فتعيَّنَ أنَّ هناك دارًا أخرى لهذا الجَزاءِ والمُواساةِ"[1].

المطلبُ الثالثُ:

تَميّزُ الأدلّةِ القرآنيةِ وتفوّقُها على ما عَداها من الأدلَّة

بعد أنْ وقفَ البحثُ في المَطلبينِ السَّابقين على أهمّ ما يُمَيّزُ منهجَ القُرآنِ الكريمِ في عرضِ القَضايا العقديّةِ من حيثُ إعدادُ الإنسانِ وتهيئتُهُ للتَّفكيرِ العلميّ السَّليمِ وشموليّةُ المعالجةِ القرآنيةِ وتنوّعُ الأدلَّةِ والأساليبِ في إثباتِ هذه القضايا يقتضي المقامُ ـ حتى تكتملَ متطلباتُهُ الوقوفَ على ما ذكرَه كبارُ أئمّةِ علماءِ الكلامِ والتَّفسيرِ من اشتمالِ القرآنِ على ما يُحتاجُ إليه من الأدلَّةِ والبَراهينِ والأساليبِ المتنوّعةِ في إثباتِ ما يُرادُ إثباتُهُ من مسائلِ العقيدةِ وترسيخها في الأفئدةِ ، وبيانِ تفوّقِ ما تضمنَّهُ القرآنُ من الأدلّةِ على أدلّةِ المتكلّمينَ والفلاسفةِ في كتبهم ومصنَّفاتِهم، وأهمّ ما تتميَّزُ بها، وذلكَ من خلالِ ما يأتي:

أوَّلًا: موقفُ أئمَّةِ المتكلّمينَ في أَدلّةِ القرآنِ وأَقوالُهُم فيها:

اشتملَ القرآنُ الكريمُ كما يرى المحقّقونَ ـ على جميعِ ما يُحتاجُ إليه من الأدلَّة والبراهينِ المتنوعة في قضايا العَقيدةِ ومسائلِها، " فما منْ برهانٍ ودلالةٍ وتقسيم وتحديدِ شَيءٍ من كلّياتِ المعلوماتِ العقليةِ والسَّمعيةِ إلَّا وكتابُ اللهِ . تعالى . قد نطقَ بِه، لكن أوردهُ على عادةِ العربِ دونَ دقائقِ طرقِ أحكام المتكلّمينَ"[2]، ويَرى الشّيخُ أحمد الحرَّاني (728هـ) في معرضِ حديثِهِ عن أدلَّة القرآنِ، والموازنةِ بينها وبينَ أدلةِ الكلام " أنَّ ما عندَ أئمّةِ النّظارِ أهل الكلام والفلسفة من الدَّلائلِ العقليَّةِ على المطالب الإلهيَّةِ قدْ جاء القرآنُ بما فيها من الحقّ، وما هو أبلغُ وأكملُ منها على أحسنِ وجهٍ مع تنزّههِ عن

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير :38/4[ص:28ـ29]. وينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل بحاشية الكازروني:163/5.

[2] البرهان في علوم القرآن للزركشي:24/2 وقد نُسِبَ هذا الكلام إلى الراغب الأصفهاني. ينظر : مقدمة تفسير القاسمي(محاسن التأويل): 348/1، قصة التفسير للشرباصي:29.

الأغاليطِ الكثيرةِ الموجودة عندَ هؤلاء : فإنَّ خطأهم فيها كثيرٌ جدًّا ، ولعلَّ ضلالَهم أكثرُ من هداهم وجهلهم أكثرُ من علمِهم"[1]

ويُعلِّلُ الإمامُ الزركشيُّ ذلك التَميّزَ "...لأمرين:

أحدهما . بسبب ما قاله:{ وَمَا أَرْسلنَا منْ رَسُولٍ إلّا بِلسانِ قومِهِ ليُبَيّنَ لَهمْ}[إبراهيم:4].

والثَّاني أَنَّ المائلَ إلى دقيقِ المحاجةِ هو العاجزُ عنْ إقامةِ الحجَّة بالجليّ من الكلامِ؛ فإنَّ من استطاعَ أنْ يُفهمَ بالأوضحِ الذي يَفهمُهُ الأكثرونَ لم يَنحطَّ إلى الأغمضِ الذي لا يَعرفُهُ إلّا الأقلّون، ولم يكنْ ملغزًا..."[2]. ومن هنا فقد اتّفقتْ كلمةُ علماء الإسلامِ على اختلافِ توجّهاتِهم ومشاربِهم على أهميةِ أدلّةِ القرآن و عظيمِ الانتفاعِ بها ؛ فأدلَّةُ القرآن . كما يقولُ الإمامُ أبو حامدٍ الغزاليُّ(505هـ) في معرضِ موازنتِهِ أدلّةَ القرآنِ بأدلّةِ المتكلّمينَ " مثلُ الغذاءِ ينتفعُ بهِ كلُّ إنسانٍ، وأدلةُ المتكلّمين مثلُ الدَّواءِ ينتفعُ به آحادُ النَّاسِ، ويستضرُّ بهِ الأكثرُ، بل أدلّةُ القرآنِ كالماءِ ينتفعُ بهِ الصَّبيُّ الرَّضيعُ والرَّجلُ القويُّ، وسائرُ الأدلّة كالأطعمة التي ينتفعُ بها الأقوياءُ مرّةً، ويمرضونَ بها أُخرى، ولا ينتفعُ بها الصّبيانُ أصلًا.."[3] ويُوكِّدُ [4] الباحثونَ في الدّراساتِ القرآنيةِ ـ أنَّ الأدلّةَ القرانيّةَ هي الأساسُ الذي اعتمدَ عليه المتكلّمونَ في استنباط الأدلّةِ العقليّةِ والكونيّةِ، منهم ابنُ الوزير اليماني (840هـ) حيثُ يقولُ ـ في تنبيهِهِ على عِظَمِ قدر القرآنِ واشتمالهِ على الأدلةِ النافعةِ ـ: " إجماعُ علماءِ الإسلامِ من جميع الطَّوائفِ على أنَّ القرآنَ يفيدُ ما ادّعيت من معرفةِ أدلّة التَّوحيدِ من غير ظنٍّ ولا تقليدٍ، وكما أَنَّ المتكلّمَ ينظرُ في كتب شيوخِهِ ليتعلمَّ منها الأدلَّةَ من غير تقليدٍ غيرِهِ؛ فكذلك من نظرَ في القرآنِ يتعلمُ منه الأدلةَ

---

[1] كما في: "جهد القريحة في تحرير النَّصيحة "، للسّيوطي:320 وهو تلخيصٌ لكتاب "نصيحة أهل الإيمان في الردّ على منطق اليونان" للشيخ ابن تيمية الحرّاني. وكتابُ: السّيوطي مطبوعٌ مع كتاب آخر للسّيوطي ، وهو: صونُ المنطق والكلام عن فنّي المنطق والكلام.

[2] البرهان في علوم القرآن :24/2. ينظر: تفسير آيات العقيدة:86/1.

[3] إلجام العوام عن علم الكلام:20. وينظر: المعجزة الكبرى القرآن.. للشيخ محمد أبو زهرة : 350.

[4] أَكَّدَ (التأكيد) و وَكَّدَ (التّوكيد) بمعنىً ، والواو أفصحُ ينظر: مختار الصحاح "أكد" و"وكد": 462،21 .

من غير تقليد، بل القرآنُ العظيمُ هو الذي تعلَّمَ منه المتكلّمون النَّظرَ..."[1] ثمَّ يوردُ كلامَ علماء الفرق المختلفة في ذلك، ويأتي علماءُ أهل البيتِ في مقدّمةِ مَنْ ذكرهم.

ومن هؤلاء العلماء الذين أشَادُوا بما وردَ في القرآنِ من الأدلّةِ وخاصّةً الذين اشتغلوا بعلمِ الكلامِ، وتعمَّقُوا فيه، وسبروا أغواره، وغاصوا لججَهُ ، وألَّفوا فيه :

قاضي القُضاة عبد الجبّار الهمداني (415هـ) جامعُ تراثِ المعتزلةِ، فإنَّهُ يقولُ . في معرض حديثِهِ عن إعجاز القرآن في كتابه: "المُحيط في النُبوَّات" ما نصّهُ: ".واتّفقَ فيه أيضًا استنباط الأدلةِ التي توافقُ العقول، وموافقته ما تَضَمنّهُ لأحكام العقلِ على وجهٍ يَبهرُ ذوي العقول، ويحيّرُهم؛ فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ بيَّنَه على المعاني التي استخرجَها المتكلّمونَ بمعاناةٍ وجَهد . بألفاظٍ سهلةٍ قليلةٍ تحتوي على معان كثيرةٍ كما ذكرَه عزَّ وجلَّ في نقضِ مذاهبِ الطَّبيعيينَ في قولهِ تعالى:{ وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ..}[الرعد:4]، وفي الآيات الَّتي ذكرَها في نفي الثَّاني، وفي غيرِ ذلك من الأبوابِ الَّتي لا تُحصى."[2] .

القاضي عياض بن موسى بن عياض (544هـ) في كتابهِ: "الشّفا بتعريفِ حقوقِ المُصطَفى" في حديثه عن وجوهِ إعجازِ القرآنِ:". ومنها جمعُهُ لعلومٍ ومعارفَ لم تَعهد العربُ عامّةً ولا محمّدٌ صلى اللهُ عليه وسلَّم قبل نبوَّتهِ خاصّةً بمعرفتها ولا القيامِ بها والتَّنبيهِ على طُرُقِ الحججِ العقليّاتِ، والردِّ على فِرَقِ الأممِ ببراهينَ قويَّةٍ وأدلَّةٍ بَيّنةٍ سَهلةِ الألفاظِ موجَزة المقاصد، رامَ المُتَحَذْلِقونَ بعدُ أنْ يَنصِبوا أدلّةً مثلَها فلم يَقدِروا عليها كقوله تعالى: { أَوَلَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ بِقادِرٍ على أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم..} [يس:81]..."[3].

الفخرُ الرازيُّ الأشعريُّ (606هـ) وهو من كبارِ متكلّمي المدرسة الأشعريّة السنيّةِ، يقول في ذكر المعجزات العقلية ما نصُّهُ :"بلْ أَقرَّ الكلُّ بأَنَّهُ لا يُمكنُ أنْ يُزادَ في تقريرِ

---

[1] ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان:15.

[2] على ما ذكره ابن الوزير اليماني(840هـ) في كتابه :" العواصم والقواصم في الذَّبّ عن سنَّةِ أبي القاسم" 539/3. وينظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان :19.

[3] 536/1. وينظر: العواصم والقواصم... لابن الوزير اليماني:439/3.

الدلائلِ على ما وردَ في القرآنِ"[1]، ويقولُ أيضًا:" لقد تأَمَّلْتُ الطّرقَ الكلاميّةَ والمناهجَ الفلسفيّةَ، فما رأيتُها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيتُ أَقربَ الطّرقِ طريقةَ القرآنِ، اقرأْ في الإثباتِ:{الرَّحمنُ على العَرْشِ اسْتوَى} [طه:5]،{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر:10] واقرأْ في النَّفْيِ:{لَيْسَ كَمثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11]..ومنْ جَرَّبَ مثلَ تَجربتي عرفَ مثلَ معرفتي"[2].

ـ الشّيخ سعيد النّورسي (1379هـ) أحد أشهر العلماء المعاصرين الذي يقولُ: "حقًّا إنَّ معرفةَ اللهِ المستنبطةَ بدلائلِ علمِ الكلامِ ليست هي المعرفة الكاملة، ولا توثُ الاطمئنانَ القلبيَّ في حين أَنَّ تلك المعرفةَ متى كانت على نهجِ القرآنِ الكريمِ المعجزِ؛ فإنَّها تصبحُ معرفةً تامّةً، وتسكبُ الاطمئنانَ الكاملَ في القلبِ.."[3].

ـ الشيخ محمد أبو زهرة (1394هـ) من كبار الباحثين في الشريعة الإسلامية، يقول:" فإنَّ القرآن قد اشتملَ على مناهجَ في الاستدلال والجدل والتأثير تكشف عن أدقّ نواميس النفس الإنسانية، وتبيّنُ شيئًا كثيرًا من أحوال الجماعات النّفسية والفكرية، وفيها الطبُّ لأدوائها والعلاجُ النّاجعُ لأمراضِها والدّواءُ الشّافي لعللها وأسقامِها"[4] إلى غيرِ ذلك ممّا قاله العلماءُ.

ثانيًا: أهم مزايا الأدلَّةِ والأساليبِ القرآنيَّةِ:

بعد هذا العرضِ المختصرِ لطبيعةِ الأدلَّةِ القُرآنيةِ، وما ذكرهُ العلماءُ في الإشادةِ بها ـ يُمكنُ تلخيصُ أهمّ ميّزاتِ المنهجِ القرآنيّ من خلال هذه الأدلَّةِ الّتي اشتملَ عليها الكتابُ الكريم مع الإشارة إلى أنَّ هذه الميزاتِ لا يمكنُ أنْ يُحيطَ بها عقلٌ بشريٌّ مهما ارْتقى؛ لأنَّها جزءٌ من وجوهِ إعجازِ القرآنِ، وهي لا تحدّ، ولا تخلَقُ على امتداد الزَّمانِ والمكانِ . بما يأتي:

---

[1] الأربعين في أصول الدين :311.

[2] على ما ذكره الذَّهبيُّ في ترجمته في كتابه : سير أعلام النبلاء:21/501-502.وينظر: "جهد القريحة في تحرير النَّصيحة "، للسّيوطي:320 وهو تلخيصٌ لكتاب "نصيحة أهل الإيمان في الردِّ على منطقِ اليونان" للشيخ ابن تيمية الحرّاني. وكتابُ: السّيوطي مطبوعٌ مع كتاب آخر للسّيوطي، وهو: صونُ المنطق والكلام عن فنّي المنطق والكلام.

[3] المكتوبات (المبحث الرابع، المسألة الثانية من المكتوب السادس والعشرين): 424.

[4] المعجزة الكبرى القرآن :350.

مسايرتُه للفطرةِ البشريّةَ في صوغ أدلّتِهِ: فالقرآنُ الكريمُ يوجّهُ الخطابَ إليها مباشرةً ليوقظَ الجانبَ الأصيلَ فيها، وهو النَّقاءُ والاستقامةُ على الحقّ كما مرَّ، ويُزيلَ عنها ما لحِقَ بها من انحرافٍ وزيغٍ وفسادٍ؛ فالّذي يقرأُ الآياتِ القرآنيةَ التي تتحدّثُ عن وجود اللهِ لا يكادُ يستشفُّ من حديثِهِ " أنَّهُ حديثٌ إلى منكرٍ لوجود الله تعالى بقدر ما يشعرُ إلى أنَّه حديثٌ إلى غافلٍ عن ذلك الوجودِ؛ فكأنَّ الاعترافَ واقعٌ ، ولكنَّ الدَّاءَ في الغفلةِ عمَّا يجبُ لهذا الوجودِ. وحديثُ القرآن بهذه الكيفية يلفتُ نظرَ الإنسانِ إلى فطرتِهِ، ويمهّدُ الطّريقَ لعودةِ الإنسان إلى الإيمانِ بربّهِ؛ وذلك لإشعاره أنَّه ليس من شأنِهِ أنْ يكونَ منكرًا بل غافلًا من ذلك على سبيل المثال قول الحقّ: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِن السَّماءِ والأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمعَ والأبْصارَ وَمَنْ يُخرجُ الحيَّ مِن الميّتِ وَيُخرِجُ المَيّتَ مِن الحَيّ وَمَنْ يُدَبّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تتَّقونَ فَذلكُمُ اللهُ رَبُّكُم الحَقُّ فَماذَا بَعْدَ الحَقّ إلّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس:31- 32]..."[1]

ـ إقناعُهُ للعقلِ وإمتاعُه للعاطفةِ: ذلك لأَنَّ الإنسانَ قد اشتملَ على جانبين: جانبٍ عقليّ وجانبٍ عاطفيّ وجدانيّ، والاعتمادُ على جانبٍ دونَ جانبٍ لا يوصلُ إلى الحقيقةِ الجازمةِ، بل لا بدَّ من مراعاةِ الجانبين؛ لأَنَّ ما يُقنعُ العقلَ ربّما لا يُمتعُ العاطفةَ، وما يُمتعُ العاطفةَ ربّما لا يُقنعُ العقلَ، وهذا ما مشى عليه القرآن الكريم في منهجه الرائع من مخاطبة الجانبين معًا على حدِّ قول الشيخ محمد عبدالله دراز (1377هـ): "وأَمّا أَنَّ أسلوبًا واحدًا يتّجهُ اتّجاهًا واحدًا، فيجمعُ بين يديكَ هذين الأسلوبين معًا كما يحملُ الغصنُ الواحدُ من الشّجرةِ أوراقًا وأزهارًا وثمارًا معًا، أو كما يَسري الرُّوحُ في الجسدِ والماءُ في العودِ الأخضرِ؛ فذلك مالا نَظفَرُ بهِ في كلام بشرٍ فمَنْ لك إذًا بهذا الكلامِ الواحدِ الذي يجيءُ من الحقيقةِ البرهانيّةِ الصَّارمةِ بما يُرضي حتَّى أولئك الفلاسفةِ المتعمّقين، ومن المتعةِ الوجدانيّةِ الطيّبةِ بما يُرضي حتّى هؤلاءِ الشّعراءِ المرحينَ ؟ ذلك اللهُ ربُّ العالمين، فهو الذي لا يَشغلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، وهو القادرُ على أنْ يخاطبَ العقلَ والقلبَ معًا

[1] نظرات في المنهج الاستدلالي في القرآن، د. محمود مزروعة:56. وانظر: التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبدالحليم محمود: 50، تفسير آيات العقيدة :57/1.

بلسان، وأنْ يمزجَ الحقَّ والجمالَ معًا يلتقيان ولا يبغيان..." [1] إلى غير ذلك مما قيل في هذا المجال.

منا سببُه لجميعِ العقولِ والمستوياتِ الفكريةِ وسهولتُه ويسرُه وخلوّه من التَّعقيداتِ والإغراقِ في التَّجريدِ والنَّظرياتِ الصّرفةِ التي حفَلت بها أدلةُ المتكلّمين والفلاسفةِ؛ فالقرآن الكريم يقدّمُ للإنسانِ ما يناسبُ ذكاءَه واستعدادَه من الأدلّة، ولا يتوقَّفُ فهمُها على علمٍ فائقٍ ودراسةٍ واسعةٍ للعلوم والفلسفات، يفهمُها العوامُ كما يفهمُها الخواصُ، ويجدُ كلُّ فريقٍ ما يناسبهُ، وهذا لا يتحقَّقُ إلّا في القرآن الكريم يقول الشيخ دراز بعد أنْ بيّنّ أنّ اختلاف مستويات الناس علمًا وفهمًا- يستدعي أنْ يُخاطبَ كلُّ فريقٍ بما يناسبه ." وأمَّا أنَّ جملةً واحدةً تُلقى إلى العلماءِ والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى السّوقةِ والملوكِ، فيراها كلٌّ منهم مقَدّرةً على مقياسِ عقلهِ وعلى وفقِ حاجتهِ فذلك ما لا تجدُهُ على أتمّه إلّا في القرآن الكريم..."[2] ومِنْ نماذجِ ما يمكنُ الاستشهادُ بهِ في هذا المجالِ قولُه ـ تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بينِ الصُّلْبِ والتَّرائبِ}[الطارق:5-7] فإنَّه يُثيرُ لدى العامي إيمانًا بعجيبِ القدرةِ الإلهيةِ، ويثيرُ لدى عالمِ الحياةِ الذي يَعرفُ كثيرًا عن أسرار الحياةِ إيمانًا أعمق، كما أنَّ القرآنَ الكريمَ يستخدمُ الأدلّةَ السَّهلةَ الّتي توصلُ إلى المطلوبِ من أقصر الطّرقِ بعيدًا عن الإغراق في التجريدِ والنّظريات الصّرفةِ كما فعلَ الفلاسفةُ، ولمْ يَنهمك في الاستدلالاتِ المنطقيةِ الإرسطيةِ والتَّفريعاتِ المنقسمةِ إلى مقدمات كبرى وصغرى ونتائج كما فعلَ المتكلّمونَ، وإنّما هو منهجٌ قد اعتمدَ الإقناعَ مراعيًا في ذلك الفطرة الإنسانية وهي قدرٌ مشتركٌ بين الناس جميعًا. وفي الاستدلالِ على وجود الله ينطلقُ القرآنُ من المحسوسِ والمحسوسُ قريبٌ من الإنسانِ سهلُ التناولِ عقليًّا[3] لا يتسنّى لأحدٍ إنكارها، وتظهرُ السهولةُ أيضًا . في سوقه الأدلّة على هيئةٍ جزئيةٍ مفصّلةٍ تدركها النَّفسُ بسهولةٍ ويسرٍ عكس الأدلة الوضعيةِ التي تقومُ على التَّعميمِ الذي يحتاج من تفصيلٍ إلى تفصيلٍ مما يؤدي إلى شعور القاريء بالملل؛ فيضيع الهدف المنشود[4].

---

[1] النّبأ العظيم : 115. 116. وانظر: علم الكلام القرآني (بحث)، د. بلقاسم الغالي: 98، تفسير آيات العقيدة :55/1.
[2] النبأ العظيم : 113.
[3] انظر: علم الكلام القرآني(بحث) :96. 97.
[4] انظر: تفسير آيات العقيدة :54/1. 55.

الخاتمة:

وفي نهايةِ المطافِ ـ يمكنُ الإشارةُ إلى أهمّ النتائج التي انتهت إليها هذه الدّراسةُ المختصرةُ، وهي بإيجاز:

أنَّ القرآنَ الكريمَ الذي أنزلَهُ الله . سبحانه وتعالى . على نبيّه محمدٍ . عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ . ليكونَ خاتمًا للأنبياء والرُّسل ـ قد تضمّنَ كلَّ ما يُحتاجُ إليهِ في هدايةِ الإنسانيةِ وخصوصًا الجانبَ العقديَّ . من ذلك الآياتُ الكثيرةُ الّتي تُخاطبُ الفطْرةَ السَّليمةَ النقيّةَ في الإنسان، وتحثُّه على التفكّر والتّدبّرِ في هذا الكونِ ليصلَ مِن خلالِ ذلكَ إلى الإيمانِ بوجودِ الإلهِ الخالقِ المبدعِ الكاملِ؛ فالدَّعوةُ إلى العقيدةِ الصَّحيحةِ مقصدٌ من أهمّ المقاصدِ التي نزل القرآن من أجلها.

ـ لا يكتفي القرآنُ الكريمُ . في عرْضهِ للعقائدِ الدّينيّةِ بالإخبارِ عنها وتقريرِها والأمرِ باتّباعها والردِّ على مُنكريها، بلْ يَعرضُها مشفوعةً ببراهينِها العقليّةِ القاطِعة بصورها السَّهلةِ البعيدةِ عن التَّعقيدِ والإغراقِ في التَّجريد.

. لَمْ يكلِ القرآنُ الكريمُ الإنسانَ إلى نفسهِ للوصولِ إلى ما يتعلَّق بالعقيدة ، بلْ فصَّلَ مسائلَها التي أخبرَ بها أيَّما تفصيل، وأشار إليها إشاراتٍ بليغةً في مواضعَ مختلفةٍ من سورِهِ وآياتهِ، وقد اشتملَ على جميعِ أنواعِ البراهينِ والأدلّةِ ، وما من سبيلٍ لإثباتِ العقيدة إلّا وكتاب الله قد سبقَ إليه وقرّره، ووضعَ الأسسَ التي يجبُ أنْ تُحتذى.

. تميّزَ المنهجُ القرآنيُّ في الدّعوةِ إلى العَقيدة بخصائصَ انفردَ بها، ولم تترفّر في غيره من المناهجِ الكلاميّةِ والفلسفيّةِ؛ لذلك ينبغي أنْ يكونَ القرآنُ الكريمُ هو المنطلقَ والأساسَ في بناءِ العقيدةِ الصَّحيحةِ؛ لأنَّه دليلٌ قطعيٌّ سمعيٌّ عقليٌّ ! وعلى مَنْ يتصدَّى للدّفاعِ عن العقيدة والشَّرعِ أنْ يتعرَّفَ على الدَّلائلِ العقليةِ المَحضةِ بعد استيعابهِ للأدلّة القرآنيةِ ليردَّ بها على مَنْ لا يؤمنُ بالقرآنِ وما جاء بهِ.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

. الأربعين في أصول الدين، فخرالدين محمد بن عمر الرازي(606هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطّبعة الأولى(1353هـ).

ـ الإسلام يتحدّى (مدخل علمي إلى الإيمان) ، وحيدالدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتقديم: دكتور عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى(1969م).

. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق : إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة الثالثة (1420هـ 1999م) ، دار "سوزلر" للنشر . استانبول.

ـ إشارات المرام من عبارات الإمام ، كمال الدين أحمد البياضي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) ، تحقيق: يوسف عبدالرزاق ، الطبعة الأولى(1368هـ 1949م)، شركة مطبعة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

ـ أصول العقيدة الإسلامية، د.عبد المقصود عبدالغني ، (1406هـ) مكتبة الزهراء . القاهرة.

ـ إلجام العوام عن علم الكلام، حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي(505هـ) ، (1350هـ ـ 1932م).

. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، القاضي أبو بكر الباقلاني(403هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثالثة(1413هـ 1993م)، مكتبة الخانجي . مصر.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) بحاشية الكازروني ، ناصرالدين البيضاوي (685هـ)، دار صادر. بيروت.

. إيثار الحقّ على الخلق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التوحيد ، ابن الوزير(840هـ)الطبعة الأولى (1403هـ 1983م) ، دار الكتب العلمية . بيروت.

ـ كتاب البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، الإمام نورالدين الصابوني(580هـ)، تحقيق: د. فتح الله خليف، (1969م)، دار المعارف ـ مصر.
. البرهان في علوم القرآن ، الإمام بدرالدين الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة . بيروت.
. البيضاوي مفسِّرًا، د.عبد العزيز حاجي، الطبعة الأولى (1434هـ2013م)، دار النوادر- سورية.
. التّحرير والتَّنوير، محمد الطَّاهر بن عاشور(1393هـ) ، (1984م)الدار التونسية للنشر.
ـ التّحقيق التام في علم الكلام ، محمد بن الحسين الظواهري، الطبعة الأولى(1358هـ 1939م)، مكتبة النهضة المصرية.
. ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، أبوعبدالله محمد بن مرتضى اليماني المشهور بابن الوزير(840هـ)، الطبعة الأولى(1404هـ 1984م) دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.
ـ التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (816هـ) ، ضبط: محمد بن عبدالحكيم القاضي ،الطبعة الأولى(1411هـ 1991م)، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.
ـ تفسير آيات العقيدة ، الدكتور عبدالعزيز حاجي ، الطبعة الأولى(1424هـ 2003م)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.
. تفسير(جزء عمّ)، الشيخ محمد عبده ، الطبعة الثالثة (1341هـ)، مطبعة مصر.
ـ تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي (774هـ)، الطبعة الثانية(1407هـ 1987م)، دار المعرفة . بيروت . لبنان.
. التفكير فريضة إسلامية ، عباس محمود عقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر.
. التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبدالحليم محمود ، الطبعة الثانية، دار المعارف . مصر.

ـ الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي(671هـ)، الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية (1387هـ 1967م)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

. صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي(911هـ)، ومعه :(جهد القريحة في تجريد النَّصيحة) علق عليه: علي النشار ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

ـ دلائل التَّوحيد، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي(1332هـ)الطبعة الأولى(1405هـ 1984م)، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

ـ رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة الاعتماد(1369هـ 1950م) ، دار الفكر العربي . مصر.

. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي(748هـ) تحقيق: مجموعة بإشراف : شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

ـ شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد (415هـ) ، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الطبعة الأولى(1384هـ 1965م)، مكتبة وهبة . القاهرة.

. شرح جوهرة التوحيد، الشيخ إبراهيم الباجوري (1277هـ)، نسقه وخرج أحاديثه: محمد أديب الكيلاني ، عبدالكريم تتان ، (1392هـ 1972م).

ـ شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي(746هـ) ، الطبعة الثامنة (1404هـ1984م)، المكتب الإسلامي.

ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية(701هـ) ، الطبعة الأولى(1323هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية.

ـ الشّفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي(544هـ)، الطبعة الثانية (1407هـ)، دار الفيحاء . عمان.
ـ صحيح البخاري بشرح فتح الباري، محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ) ، ابن حجر العسقلاني(852هـ) ، دار المعرفة . بيروت.
ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم بن حجاج القشيري(261هـ)، محي الدين النووي(676هـ)، الطبعة الأولى(1414هـ1994م)، دار الخير. دمشق.
ـ طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، القاضي ناصرالدين البيضاوي(685هـ)، تحقيق: عباس سليمان، الطبعة الأولى(1411هـ 1991م)، المكتبة الأزهرية للتراث . القاهرة.
ـ العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، د. سعدالدين السيد صالح ، الطبعة الثانية(1411هـ 1991م) ، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة.
. علم التوحيد عند خلص المتكلمين، د.عبد الحميد علي عز العرب،(1407هـ 1987م)، دار المنار
ـ علم الكلام القرآني (بحث) ، د. بلقاسم الغالي ، منشور في: مجلة المسلم المعاصر(محكمة)، العدد: 62، السنة: 16، (1412هـ 1992م).
ـ العواصم والقواصم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم الوزير اليماني(840هـ)، تحقيق: شعيب أرناؤوط، الطبعة الثالثة (1415هـ 1994م)،مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع . بيروت.
. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، الطبعة الأولى(1416هـ)، دار الكتب العلمية . بيروت.
. فضائل القرآن، ابن كثير الدمشقي، دار مرجان للطباعة . القاهرة.
ـ القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ، محمد الصادق إبراهيم عرجون ، الطبعة الثانية (1410هـ 1989م)، دار القلم . دمشق ، الدار الشامية . بيروت.

ـ القرآن والنَّظر العقلي، فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى(1413هـ 1993م)، المعهد العالي للفكر الإسلامي . هيرندن . فيرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ قصة التفسير، الدكتور أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية (1978م)، دار الجيل . بيروت.

. القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمد أبو دقيقة، تحقيق: الدكتور عوض الله حجازي ، الإدارة العامة لإحياء التراث.

ـ كبرى اليقينيات الكونية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، (1413هـ 1993م)، دار الفكر المعاصر . بيروت.

ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (538هـ)، الطبعة الثالثة، (1407هـ 1987م)، ومعه كتب أخلاى، دار الكتاب العربي . بيروت.

. لمحات من الفكر الكلامي، د. حسن الشافعي (1413هـ 1993م)،دار الثقافة العربية . القاهرة.

ـ متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمذاني(415هـ) ، تحقيق: د. عدنان زرزور، دار التراث . القاهرة.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)،عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي(701هـ)دار إحياء الكتب العربية.

ـ المدخل إلى دراسة علم الكلام ، الدكتور حسن الشافعي ، الطبعة الثانية(1411هـ 1991م)، مكتبة وهبة . القاهرة.

. المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، الناشر: دار الفكر العربي.

ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي(606هـ)، الطبعة الثالثة (1420هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

. المكتوبات ، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية (1413هـ 1992م)، دار "سوزلر للنشر" فرع القاهرة.
ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ابن رشد(595هـ)، تحقيق: د. محمود قاسم، الطبعة الثالثة(1969م) ، مكتبة الأنجلو المصرية.
ـ منهج السلف في العقيدة، د.حمدي عبدالعال، الطبعة الثانية(1406هـ 1986م)، دار القلم . الكويت
. منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبدالعزيز، الطبعة الثالثة (1414هـ 1993م) ، دارالدعوة للطبع والنشر والتوزيع الاسكندرية.
ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، محمد الأمين الشنقيطي(1393هـ) ، (1401هـ) ، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
ـ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الدكتور محمد عبدالله دراز ، (1404هـ 1984م) دار القلم . الكويت.
. المواقف في علم الكلام ، عضد الدين الإيجي (756هـ) مكتبة المتنبي . القاهرة.